دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

ندره اليازجي

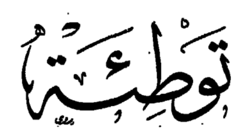
مقالة في العقل والنفس والرّوح

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

ندره اليازجي

مقالة
في
العقل والنفس والرّوح

الاهـداء ...
الى زوجتي



توطئة

تعتبر هذه السطور عملا من أعمال التأمل • وقد أقدمت على كتابتها خلال مدة قصيرة ، خلتها يقظة وجدان وانطلاقا في عالم المطلق •

هاءنذا أسطر ، من خلال تأملاتي ويقظتي الوجدانيـة ، ما شعرت به • لقد وجد هذا الشعور في داخلي وازداد حتى قادني الى الكتابة •

شغلت نفسي كثيرا في هذا الموضوع وحاولت أن أصل الى اعماق الحقيقة الانسانية بالتأمل ودراسة النفس فقط ، وكنت ، في كثير من الاحيان أقرأ ما كتب عن هذا الموضوع بالذات •

ووجدت نفسي في مأزق صعب ، وذلك لان معظم الذين يكتبون في هذا الموضوع يعتبرونه عملا فيزيقيا • ولكني بعد محاولة فهـم مظاهر الوجـود والانسان ، علمت انني لا أستطيع أن أفرق بين ما هو فيزيقي وما هو ميتافيزيقي ، كما علمت ان دراسة المادة تؤدي الى فهم ما فوق المادة ومايقع وراءها •

هكذا علمت ان الانسان يعيش في عالم لايفهمه تماما وذلك لانه لايحاول أن ينظر بعمق الى المواضيع التي تتراءى له. وعلمت ان أكثر ما يجهله هذا الانسان هو .. نفسه .

لقد عدت الى نفس الانسان ، الى نفسي . وعلمت ان الوجود كله مضمون فيّ ، وكل ما يحدث في الكون يحدث فيّ . فأنا ، اذن ، المثال الاعظم للكون ، وفي وجودي تتم كل التفاعلات ، وتبدو الحقيقة . وعلمت أيضا ان ادراك هذه الحقيقة صعب للغاية . لكنني حاولت أن أستمر في محاولتي هذه وان أستمد العون من الله .

ان محاولتي هذه ، هي محاولة قائمة على التأمل وعلى الشعور . انها تفاعل في وجودي وشعوري به .

نعره اليازجي

محتويـات الكتاب

الفصل الأول

تساؤل وحيرة

ماهو الوجود الانساني ؟ لماذا وجد الانسان وكيف ؟

طرح هذا السؤال منذ آلاف السنين ، منذ ان حاول الانسان ان يفهم ويدرك ، ولم يقف عنده بل تعداه الى أسئلة أخرى عن الكون ، عن سبب وجوده وكيفيته . ولاندري أين وصل الانسان في حقل المعرفة .

هل فهم الانسان حقيقته أم انه لايزال يفتش ويسأل ؟ فان كان في طريقه الى تحقيق معرفته والوصول الى الهدف ، فلا بد أنه يسير الى الغاية ، وان كان لايزال يتساءل عن سره فان الوصول مرحلة شاقة وغير ممكنة طالما انه لم يستطع أن يدرك قيمة سؤاله الذي جعله يقف وجها لوجه أمام وجوده وأمام الكون .

ولا يزال الانسان حائرا . فهو يتساءل عن مفهوم الصيرورة والديمومة ويحاول ان يدرك معنى العقل والنفس والروح . ويغوص في نفسه ليجد أين تقع النفس وكيف تعمل الروح وما هي حقيقة العقل ، وكيف تتصل النفس بالعقل ، وكيف يمكن للروح أن توجد في الجسد وكيف

يستطيع أن يحددها فيه .

ويحتار الانسان في دنياه ... فيشك في وجوده .. في وجود روحه ونفسه .. ويتعلق بمادته .. ويعود لهذه المادة فيكتشف انه لايزال يجهلها ... وهو ان عرف شيئاً عنهـا فإنما معرفته تعبر عن مظاهر فقط . ويصعب عليه أن يفهم لماذا تعمل المادة هكذا ، وما الذي يدفعها . ويحاول أن يفهم الكيان المادي فلا يجد وسيلة سوى المراقبة والتجربة.. المراقبة التي تريه أمورا يجهل حقيقتها ... والتجربة التي تضع أمامه الماهية وتريه صورها ، فيحس بها دون أن يدركها ، ويراقبها دون أن يفهم لماذا وكيف تعمل .

ويقر الانسان عندئذ بوجوب وجود الحركة .. الحركة التي هي سبب انطلاق المادة في كينونتها .. ويكد ذهنه لكي يفسر الحركة . ما هي الحركة ؟ وكيف تشكلت ؟ وهل هي امتداد أم كيان قائم بحد ذاته ؟ وهل يستطيع الذهن أن يتذهنها ؟ وهل هي تمثل الوجود والأزل والدوام والصيرورة ؟

ويشك الانسان عندئذ بهذه الحركة لانه لا يتذهنها . ويحفر في تراب المادة عله يجد كنزه المدفون . ويعود مرة اخرى للتجربة والمراقبة . فيشاهد عن كثب ما يدور حوله وما يكون بالضرورة أو بالفعل !

ويقف الانسان حائرا لايعرف الحقيقة التي يفتش عنها أو الامور التي يسائل نفسه عنها • ويشكل أفكارا مختلفة • وينتمي الى فكرة منها أو يعتنق مبادىء مختلفة للكون • فالكون قد أصبح لديه مجموعة من الافكار المتناقضة •

وهناك يقف المادي الذي يفتخر بعقائده الثابتة وتجاربه وعلومه ! المادي الذي يؤكد ان سر الكون قد أصبح في متناول يده • فيعترف ان المادة حية وقد انطلقت من ذاتها وشكلت ذاتها وأصبحت هيولي • ويقول ان للمادة جوهرا يتطور وينمو ليحقق الافضل • ويعترف هذا المادي أيضا انه لايستطيع أن يشرح جوهر المادة وكيفية تطوره • وعندئذ يسأم الانسان من المادي لانه لم يقدم له حلا وافيا عن حقيقة الكون والوجود طالما انه قاصر ان يؤول معنى الحياة في المادة والتطور في الجوهر •

ويلتفت الانسان فيجد أمامه مفهوما آخر من المفاهيم التي حصل عليها من جراء دراسته للكون ولنفسه • انه الروحاني الذي يقر بازلية الروح ووجودها وقدرتها على العمل في المادة • انه الانسان الذي يعيد كل عظمة وقوة وحقيقة وجوهر للروح ويشرح كل شيء ، بما فيه الحركة ، معتمدا عليها • ويتنكر الروحاني للمادة طالما ان الروح سابقة للوجود ، اذن هي الحياة أو الوجود • ويجرد الروح عن المادة لانها جوهر قائم بحد ذاته وموجود • ولولا هذا

الوجود لما حصل وجود آخر • فالكون والانسان اذن هما من خلق الوجود ، اذن هما وجوب وامكان ، وقد وجدا كمفهومين للروح من حيث انها المبدأ الاول أو الوجود الذي هو واجب • ولكن الانسان يقف حائرا أمام هذه التجريدات العميقة • ويتساءل ان كان قد فهم الروح ، وان كان يستطيع أن يحددها ، وان كان يستطيع أن يقيم الدليل على وجودها ، وان كان يستطيع أن يضعها في عالم التجربة والملاحظة كما يفعل المادي ، وان كان يستطيع أن يراها ويحس بها • ويتساءل ان كانت هي حقيقة الحياة وجوهر الانسان • ويحتار الروحاني بما ذا يجيب • ويقول عندئذ ان الروح فوق مستوى العقل البشري ولا تخضع للقياس ، وهكذا لا تخضع للحس والادراك المباشر بل يمكن تذهنها •

ويسأم الانسان من كل هذا • لكنه ، في اللحظة التي يحاول فيها أن يقترف انتحارا عقليا ، يجد أمامه صنما جديدا هو صنم الازدواجية ــ ازدواجية الروح والمادة • لقد أخطأ الروحانيون كما أخطأ الماديون • لقد سار كلاهما على طريق الضلال • وهكذا فقد وجد الازدواجيون نقطة التقاء الروح بالمادة • ولاشك ان مفتاح السر معهم ، ولذلك فانهم سيعرفون موضع الكنز • ويحاول الازدواجيون تفسير الحيا ةبأنها وجود الروح والجسد معا ، ولكنهم يفشلون في تعليل أسباب هذه الازدواجية كما يجهلون أسباب وجودها •

ويصعب على الانسان عندئذ أن يتصور كيانا قائما على تناقض الجواهر . فلا يستطيع أن يتصور أن الروح تندمج بالجسد طالما انها عنصر أو جوهر مغاير لعنصر أو جـوهر المـادة . وتزداد نقمة الانسان لانه لايتصور النتائج التي حصلت عليها الحياة مـن جراء هـذا اللقاء بين عنصرين غـير متساويين أو بالاحرى متناقضين . ويصعب عليه أيضا أن يتصور وجود الانسان انه وجود للمادة كعنصر لايفهمه ووجود للـروح كعنصر يجهله .

ويحاول الانسان أن يجد أنصاف الحلول . فيتعلـق بالفكر ويعطيه أوصافه ومزاياه . ويتكلم عنه كأنما يعرفه ويدركه كأنه شيء لاينفصل عنه . ويعترف ان الفكر هـو الطاقة الفاعلة فيه . ان هذا الفكر يتصور المواضيع بعد أن يحس بها .. والمواضيع .. ما هو عمل المواضيع ؟ انها تمد الفكر بالصورة . اذن للموضوع صورة . واذا كان للفكر صورة أو قوة التصور وللموضوع صورة ، فانهما يتفاعلان لخلق صور الوجود لكي يسهل فهمه . وهكذا يحصـل الانسان على نصف حل . ولكنه يتساءل عن حقيقة هـذا التفكير الذي يتضمن قوة التصور . هل هو من ذات عنصر الشيء المصور ، الموضوع الذي يمد الفكر بالصورة ؟ لانه يستحيل أن يتفاعل عنصران ان لم يتشابها في التكوين . واذا كان الفكر قد تشكل من عنصر الموضوع فكلاهما مـادة .

واذا كانا مادة فكيف يمكن ان يكون للمادة صورة ؟ اذن ما هي هذه القوة التي نسميها التصور ؟

ويلتفت الانسان يمنة ويسرة ليفتش عن طريقة اخرى للوصول، فيجد صنما جديدا يسير على رجليه الاصطناعيتين، ويتلمس كل شيء . انه يريد أن يحس بكل شيء . انه يريد أن يتأكد من ان لاشيء موجود في العقل الا وكان موجودا في الحس . ويحاول هذا الصنم أن يعيش في حسه هذا الذي بواسطته يستطيع أن يعرف كل ما يحيط به . ويكاد يعتقد أن كل فكر وكل طاقة دماغية هو انعكاس فقط . ويتساءل الانسان عندئذ . ما هو هذا الانعكاس ؟ هل هو الحس ؟ وان كان الحس انعكاسا فهو اذن قوة فاعلة . واذا كان قوة فاعلة فهو اذن وجود ، وان كان وجودا فهو ادراك وتصور وتذهن .

. . . . . .

ويعود الانسان ليسأل أين هو ، أين وصل ، وماذا يريد ، وماذا يدرك عن حقيقته ! ويتساءل مرة اخرى عن العقل والنفس والروح . ما هو الانعكاس ؟ ما هو الحس ؟ ما هو الفكر ؟ ما هو الدماغ ؟ وهل يمكن أن نحدد هذه الماهيات بالشعور ؟ وما هو الشعور ؟ هل هو تصعيد الحس أو ادراك المحسوس ، أم هو الاشراق والتأمل ؟ وبأية وسيلة يتأمل الانسان ؟ وكيف يتأمل ؟ ولماذا يتأمل ؟ وما هي هذه

القوى التي تفعل فيه لتؤكد وجودها ؟ وكيف تؤكد وجودها؟ أبالتأمل ؟ أبالتفكير ؟ أبالشعور ؟ أبالحس ؟ وهل تختلف هذه الطاقات عن بعضها ؟

أي فهم هذا ؟ أي وجود هذا ؟ وأية حقيقة تقع الى ماوراء حقيقتي ؟ وهل ان حقيقة تقع الى ماوراء حقيقتي ؟ اذن هي حقيقتي التي تمتد حتى تصل نفسها ، تصل المطلق . وما هو المطلق ؟ هل هو ذاك الذي انطلق عنه وأعود اليه ؟ طالما ان حقيقتي تبغي نفسها ؟ فالمطلق اذن هو الحقيقة . وكيف يكون هذا طالما ان لي حقيقة ؟ أتوجد حقيقة خارج وجودي ؟ وهل لوجودي حقيقة ؟ وهل يسعى وجودي الى حقيقة ؟ ان كان وجودي يسعى الى حقيقة ، فهو حقيقة ، اذن هو مطلق . وان كان مطلقا فلا بد انه موجود .

ويلتفت الانسان الى احساسه ويرى انه لايستطيع أن يتذهن بواسطته المطلق الذي يتذهنه . ويعجب كيف يمكن أن يمتلك الحس أي المحدود والروح أي المطلق واللامحدود . أي تناقض هـذا ؟ انه لتناقض عجيب ! اذن هنـاك قوتان تتصارعان في الانسان ... المطلق أي اللامحدود والحس أي المحدود . ويعجب الانسان . هل يعتمد المطلق على المحدود؟ ويتصور ان المحدود هو محدود بذاته طالما انه لايعقل ذاته لكنه مطلق بلا محدودية الوجود من حيث ان للوجود حقيقة تقع الى ما وراءه . وهكذا يقتنع الانسان ان للحس امتدادا

للانهاية الاحساس ، أي الشعور بقوة الوجود الذي يدفعنا الى تجاوز الذات أي المحدود .

. . . . . .

يريد الانسان أن يضع قوانين لكل هذه الطاقات الفاعلة والحركة . انه يريد أن يفهم العقل والنفس والروح طالما انه يريد أن يفهم كيانه . ويعلم أيضا انه لايستطيع أن يخرج عن دائرة هذه القوى الثلاث التي تشكل كيانه وتجعل منه وجودا .

* * *

الفصل الثاني

العالم النسبي

نحن نعيش في عالم تسيطر عليه القيم النسبية التي خلقها الانسان بتفكيره من حيث تأويلاته • وعالم النسبية هـذا يهدف الى ادراك المطلق بشكل معين ، مباشرا وغير مباشر• وهكذا نقيس كل شيء ونخضعه للادراك المباشر الذي نسميه الاحساس • ومن ثم ننطلق فيه الى ابعد حـدود التصور والتذهن ، فنصل الى المطلق بشكل معين • فالمطلق اذن هو امتداد للادراك المباشر أو الاحساس ، والاحساس هو بداية التفكير في المطلق والدرجة الاولى التي تنبثق عنها المعرفة •

وبما ان فكرنا يعيش في عالمه النسبي لذلك لا يتفهـم المطلق تماما ، وانما يتذهنه • وبما ان العالم النسبي هو عالم القياسات ودراسة المظاهر والامتداد الظاهري للكون ، اذن هو عالم بدائي للمعرفة أي الالمام بالحقيقة من خلال صـور عامة يستنبطها الذهن من الواقع ويجعل منها امتـدادا حتى يستطيع أن يتذهن ما يقع وراءها من صور ، هي أسمى مـن احساسه المباشر •

ان العالم النسبي ، اذن ، هو عالم الاحساس الممتد الى درجات أعلى في المغرفة • فهو التجربة في عالم العلم والملاحظة

في عالم النفس والحس بأنواعه المختلفة في عالم الوجــود المادي ، وهو التذهن الناتج عن كل هذا • فالشيء ، موضوع الحس ، لايمكن أن يكون وجودا بحد ذاته أي بكينونته الا اذا كان فكرة أو تذهنا • والتذهن هو موضوع الذهن أي العقل القابل للامتداد في المعرفة كما هو في أية حالة من حالات الوجود الانساني الذي ينطلق من الحس المباشـر بالكون الى التجريد الكامل لصفات وصور الكون • وهكذا ينطوي العالم المادي على درجات متعددة من المعارف النسبية التي ، وهي امتداد لكل حس بالوجود ، تصل الى التذهن •

• • • • • •

فالعالم النسبي اذن هو أساس قائم وضروري للمعرفة لانه كائن • وكل ما يكون كائنا يكون موجودا • وكـل ما يكون موجودا يكون كائنا بحد ذاته • وما يكون كائنـا يستوجب الحياة والتذهن • لذلـك يكون العـالم النسبي امتدادا لشتى الصور التي تنطلق من أساس ليصل الى صورة أو تذهن • فالمادة ، وهي موضوع العالم النسبي ، تستوجب الوجود اذن هي قائمة في وجودها ، اذن هي كائنة • ولذلك يلزم وجود جوهر يعمل في كينونتها أو وجودها ، وليس هذا الجوهر الا الدماغ • وبما ان الدماغ يوجب التصور والتذهن لذلـك يوجب التفكير • وهكذا توجب المـادة وجود صورة لها أي فكرة • وبما ان الوجوب يعني الوجود

في حالة سابقة ، اذن فللمادة صورة أو فكرة سابقة .

ان العالم النسبي يعمل على تحقيق الصورة أو الفكر الذي وجدت لاجله . وطالما ان المادة تتدرج في امتداد ، أي انها تفتش عن ذاتها لتحققها ، وبما ان الامتداد يعني تطور الشيء في ذاته أي تحقيق الحقيقة فيه ، لذلك تفهم المادة كينونتها في سير ذاتها للتوصل الى صورتها أو فكرها . وهكذا ، ومن خلال النسبية التي تسيطر على الكون ، يتذهن الدماغ صورا متعددة للوجود ، ولا يتمكن أن يتذهن هذه الصور ما لم تكن موجودة في المادة أو منطلقة عنها الى لاحدود الوجود . وهكذا يجب أن يخضع الدماغ للامتداد ، ويعني هذا انه حسي ومادي وخاضع للقياس ، لكنه لاحسي ولا مادي وغير قابل للقياس . اذن هو محدود ولا محدود ، وممتد وغير ممتد ، وصورة وواقع . لكن هذا الدماغ لايصل الى المطلق بسبب محدوديته بل يتذهنه بواسطة الامتداد .

. . . . . .

ان الامتداد ، مع انه موجود في الكون وهو صفة ملازمة له ، لايخضع تماما للتذهن التام أي المطلق مع انه سيؤدي اليه . فالوجود ، مع انه وحدة ، لكنه يمتد الى مالا نهاية . والرقم في علم الرياضيات ، مع انه وحدة ، لكنه

قابل للامتداد الى مالا نهاية • ولكن هذا الامتداد ، مع انه يمثل صورة لكل وحدة تالية ، وامتداد للكل ، لكنه لايمثل المطلق تماما ، وذلك لان الرقم في امتداداته المتتالية والمتتابعة لا يعطي صورة أو تذهنا للموضوع ، اذ ما ينفع ان اتصور مليارا الى قوة أربعين ، ان هذا الرقم لايمكن ان يكون تذهنا لموضوع ، مع انه امتداد لوحدة قائمة بحد ذاتها ، تعمل في حقل العالم النسبي وتحمل صوره • وهكذا نستنتج ان العالم النسبي ، بالرغم انه امتداد ويحمل صورة ويوجب وجود المطلق ، لكنه لا يعمل في المطلق ولا يحمل المطلق وذلك لان الامتداد ذاته قابل للانكماش والتراجع الى حالة بدائية أو حسية ، كما انه غير قادر ان يتضمن المطلق في كل درجاته ، ومع ذلك فانه يساعد على التذهن •

• • • • • •

ونحن ، اذ نعيش في هذا الكون النسبي القابل للتجزئة والتقسيم ، والقابل للوحدة أيضا ، والواجب الوجود من حيث الامتداد الذي يساعد على التذهن ومن حيث انه يبقى في حالته الراكدة التي لاتحمل فكرة أو صورة ، فاننا ننطلق في دراسة المادة• وبما ان هذه المادة تحمل في ثناياها الصفات التي وصف بها الكون وأصبحت من مزاياه ، لذلك يشتت الدماغ لانه يشك في ما هو حقيقة وفي ما هو امتداد ، في ما هو حسي وفي ما هو مطلق ، في ما يمكن أن يكون صورة وفكرة وفي ما يمكن أن يكون رقما لايخضع للتذهن ، في

ما هو موجود وفي ما هو غير موجود .

اننا ، في مثل هذه الحال ، نعود الى تذهن وجـودنا وبالتالي تذهن عدم وجودنا . وبما ان عدم الوجود يؤكـد وجودا قابلا للعدم ، وبما ان انعدم لايمكن أن يكون غـير موجود لانه لا يمكن أن يوجد اللاوجود بل الوجود ، لذلك نحاول أن تتصور وتتذهن بقـدر المستطـاع . وبمـا ان الامكانيات التي أعطيت لنا ، بشكل امتداد ، لاتساعدنا على تذهن المطلق تماما ، وبما انه لولا التذهن لبقيت الامكانيات أي السبل الماديةغير متحركة بلجامدة ، وبما اننا قادرونعلى التذهن ، لذلك نستنتج ان الوجود الانساني ، بما انه وجود وكيان ، وبما انه موجود وكائن ، وبما ان الوجود غير قابل للعدمأو للتجزئة بلللوحدة ، قادر انيحصلعلىالمعرفةبشكل غير مباشر من الوجود ذاته أو من الفكرة أو المطلق .

وهكذا يدخل الانسان طورا جديدا أو حـلة جـديدة للوجود ، هو اللاموجود ، أي الجوهر غير القابل للامتداد لانه كائن بحد ذاته . وبما ان الانسان هو حلقة متصلة من الموجود الممتد والوجود غير الممتد الذي يعبر عنه بالمطلق ، لذلك يعتمد على هذا المصدر الجديد كوسيـلة للمعرفة . وهكذا تكون الروح وسيلة للمعرفة .

. . . . . .

تقودنا هذه المقدمة الى تحليل عناصر الموضوع . فهناك الدماغ أو ما يسمى العقل وهـو قابل للامتداد ، وهنـاك

الامتداد العقلي الذي هو امتداد حسي يتصل بالروح ويسمى النفس . وهناك الامتداد الكلي ، مصدر كل امتداد ، الذي بواسطته تتذهن المطلق ونسميه الروح . وتعتبر هذه المفاهيم الثلاث حقيقة كيان الانسان .

. . . . . .

ان دراستنا لهذه المفاهيم الثلاث هي « محاولة » لفهم الوجود . ونحن لانشك أبدا أن كبار المفكرين قد بحثوا فيها ودرسوها دراسة وافية . ولكن ، بما ان الانسان ، لايزال يتخبط في التيارات المختلفة والمتعددة ولا يستطيع أن يتذهن الموضوع الذي يعمل على فهمه ، لذلك يجدر بنا أن نعيد صياغة الافكار القديمة والحديثة في صورة جديدة .

لقد تكلم الفلاسفة عن هذا الموضوع وذكر قسم منهم أشياء جريئة وجديدة . ولقد حدد البعض منهم أماكن وجود الروح في الجسد . فقد قال بعضهم ان الروح طير يحوم حولنا ، وقال بعضهم انها موجودة في الغدة الصنوبرية ، وذكر بعضهم انها في الدم ، وأكد الآخرون انها موجودة في التنفس ، وأثبت الباقون انها في القلب . وقد ذكر الفلاسفة أشياء كثيرة عن النفس كما تكلموا عن الشعور . وأكد بعضهم ان الادراك لايتم الا بالحس ، كما نفى البعض هذا القول وأكدوا على ان الادراك هو حصيلة الشعور ، كما

أثبت البعض الآخر ان الادراك هو حصيلة العقل وكل شيء يجب أن يخضع له ، وأكد القليل منهم على أهمية الاعصاب التي هي مركز قوى النفس .

لقد أخطأ الفلاسفة منفردين ولكنهم ذكروا الحقيقة متجمعين ، فالروح والعقل والنفس هي كل هذه الامور التي ذكرت أو تعمل مع بعضها كوحدة تامة لا تنفصل من حيث انها تفكر وتستمد قدرتها من بعضها .



الفصل الثالث

الانسان

الانسان ، هو المظهر الاول للوجود لانه يمثل فكرته . ولا يمكن ان يكون الانسان فكرة الوجود الا اذا تضمن كل معنى الوجود . ولذلك فان كل عناصر الوجود المادي موجودة فيه .

لقد خلق الله الانسان . خلقه من المادة أي أن مادة الانسان تحتوي على كل عناصر المادة . ولذلك كانت كتلة الانسان أي مادته مثالا للكون .

وبما ان مادة الانسان تحتوي على كل عناصر المادة ، لذلك فان كتلته هي أعظم وأقدر كتلة لأن الوجود كله متمثل فيها ومضمون فيها . وبما ان الطاقة التي تتمثل في الكتلة يجب أن تكون ، في حدها الادنى، مساوية لها ، لذلك فان الطاقة المتمثلة في الانسان هي الفكرة . أي فكرة الوجود .

وهكذا توجد الكتلة المادية التي هي مجموع العناصر الكونية والطاقة التي تمثلها أي الفكرة التي تساويها في القدرة ، في حدها الادنى . ولا يمكن أن تكون الطاقة أقل قدرة من الكتلة . ولذلك فان الفكرة تكون عظيمة بقدر

ما تكون الكتلة . ولا يمكن أن تكون الكتلة عظيمة الا بقدر ما تكون الفكرة عظيمة . ولذلك فان الطاقة أي الفكرة لاتوجد الا في كتلة مساوية لها في حدها الادنى .

ولا شك ان الانسان يختلف عن الحيوان اختلافا كبيرا جدا في الماهية والجوهر . وطالما ان الكتلة أي المادة يجب أن تكون مساوية للفكرة فيحدها الادنى، وطالما انمادةالانسان عظيمة لانها تحمل فكرة ، وبما ان المادة الحيوانية لاتحمل فكرة عظيمة ، وبما ان الفكرة الحيوانية أي الطاقة المنطلقة عن الحيوان مساوية لمادته ، لذلك فانها تختلف عن الانسان.

ان جسد الانسان يحتوي على كل عناصر المادة الكونية بينما لايحتوي جسد الحيوان على ذلك . وهكذا لايحمل الجسد الحيواني فكرة ، بينما يحمل جسد الانسان فكرة الكون .

. . . . . .

ان الفكرةأو الطاقة هي الحياة.لذلك تتمثل في الانسان أعلى درجة للحياة أيأعلىدرجة للفكرة التي حلت في المادة. وتدلنا دراسة الحياة انها توجد في ممالك أربع : مملكة الجماد المتمثلة بالصخور والتراب ، ومملكة النبات ومملكة الحيوان ومملكة الانسان . وترتقي الحياة من الجماد حتى تصل الى أعلى درجاتها في الانسان .

فالانسان اذن ، بما انه يحمل كل عناصر الكون في

جسده ، يحمل فكرة الكون أيضا . ولذلك فان للكون فكرة أو وجودا وتنطلق عن هذا الوجود العظيم فكرة عظيمة . ولا توجد هذه الفكرة العظيمة الا بوجود الانسان لانه يحمل الكون كله في جسده ويحمل فكرة الكون كله في وجوده.

لقد تعادلت الطاقة مع الكتلة في وجودها . والطاقة هنا تتساوى مع الكتلة لانها وجدت في شكلها الادنى . وتعمل هذه الطاقة في الامتداد ، وهكذا فانها تعطي صفاتها في الامتداد للكتلة . ولكن هذا الامتداد لايستطيع أن يصل الى حده الاعلى لانه كان قبلا في حده الاعلى وقد تجسد في حده الادنى . وهكذا لايستطيع الامتداد أن يدرك المطلق لانه يقف عند حد معين لايمكن أن يتذهن الدرجة التي وصل اليها . ولذلك يكون الامتداد وسيلة تساعد المادة أن تحقق شيئا من وجودها بواسطة الامتداد ذاته الذي أضفتها عليه الفكرة كصفات. فالفكرة في المادة تدرك بشكل امتداد.

. . . . . .

ان الفكرة ، بما انها أعطت صفاتها للمادة كامتداد (اذ انه لا يمكن أن تتصور كتلة بدون طاقة ، فوجود الطاقة سابق لوجود الكتلة) لذلك فهي سابقة لوجود المادة . ولذلك يلزم تجسيد الفكرة في مادة عظيمة تمثل الكون . والفكرة التي تمثل الوجود يجب أن تتجسد في كتلة تمثل الكون . ولذلك تتجسد الفكرة في المادة الانسانية التي هي مجموع عناصر الكون .

. . . . . .

ان الله الذي هـو الفكرة الأزلية أعطى للمادة فكرة • فالفكرة التي أعطاها الله للمادة هي من فكرته • ولذلك جعل المادة أن تحمل أوصاف فكرته • ولا يمكن أن تحمل المـادة أو صاف الفكرة الالهية الا اذا كانت عظيمة جدا أو قـادرة على الاتصاف بها • وهكذا أوجد الله كل عناصر الكـون في جسد دقيق التكوين وأعطاه من فكرته • وبما ان الفكرة من الله فهي صورة له أو انعكاس لوجوده • وهذه الفكرة حلت في الكون أي في الجسد الحامل لعناصر الكون ، لذلك يوجب أن تعطيه شيئا من صفاتها • وكانت هذه الصفة هي الامتداد •

ان الوجود المادي انتقل من حالة السكون الى حـالة الحركة أي الحياة • فالحياة اذن هي الفكرة الفاعلة في المادة والتي تسبب حركتها • اذنهي سابقة لها فيالوجود• ولذلك فان صفات المادة مكتسبة وهي لاتستطيع ان تصل الىالمطلق لانها تحمل من الفكرة صفاتها فقط ، أي الامتـداد ، الذي هو طاقة الفكرة الممنوحة للمادة لكي تحتفظ بصورة للفكرة أي لوجودها ، فتحيا فيها • وهكذا تحمل الحياة المنطلقةعن الفكرة في اطار مادي •

• • • • • • •

الفكرة هي الروح أي قوة الحياة في المادة • ولا يمكن للمادة أن تحيا الا اذا كانت صورة للفكـرة أي للروح • فالماهية أي الجوهر الذي يتمثل بالروح موجود قبل المادة،

اذن هو أزلي . وهذه الروح هي صورة المطلق ، وهكذا يكون الانسان صورة الله . وتعكس هذه الصورة الصفات الالهية وتكسب المادة فكرة أي وجودا أي حياة .

. . . .

وتحتفظ الروح ، وهي في الجسد ، بعلاقتها مع الله . ومع ذلك فهي رهينة المادة لانها متصلة بها . فالروح اذن متصلة بالمادة ومنفصلة عنها . فهي في المادة ، وما كان في الشيء فهو نفسه ، اذن هو واياه واحد . وهي منفصلة عنه لكنها أصبحت جوهرا يعرف بالانسان . فالاتصال في المادة أوجد الجوهر الواحد الذي اكتسب صفات الروح أي الامتداد .

يتمثل الامتداد بالقدرة على الحياة . وبما انه لاحياة في المادة الا بمقدار الروح أي الطاقة التي فيها ، وبما ان الروح منفصلة ومتصلة ، لذلك لابد وان تعود الى حالتها الاولى ، فيتوقف الامتداد كما يتوقف التذهن أي الصفات التي لازمت المادة وهي في حالة الحياة . فالامتداد اذن محدود ولا محدود ، والصفات التي اكتسبتها المادة تعود للروح لان المادة تستنفذ طاقتها عندما تصل الى درجةالركود أي فقدان الحركة . أما الطاقة التي انطلقت من المادة فانها تبقى . وهكذا تبقى الحياة رغم ان الامتداد يفقد وجودهفي حالة من حالاته المحدودة لكي يسمح للطاقة أن تنطلق أيضا في حالة من حالاتها اللامحدودة . وهكذا فان الحياة التي

كانت في المادة كانت مساوية لصفات المادة في حدها الادنى.

. . . .

ان حياة الكتلة الحيوانية ناقصة لانها تمثل درجة غير واعية من الوجود ولا تحمل صفة عليا للحياة . لذلك فان الكتلة الحيوانية ناقصة الوجود لانها ناقصة الحياة . وهكذا لا وجود لها لانها لا تمثل فكرة . فالانسان يختلف عن الحيوان ولا يمكن أن نسميه حيوانا اجتماعيا .

لايعقل الحيوان وجوده ولا يتذهنه لانه مطبوع بصفة واحدة لايستطيع تبديلها أو تطويرها وذلك لانه لايحمل فكرة الحياة الحقة كما انه ليس ممتدا . أما الانسان فانه يعقل وجوده ويتذهنه لانه يتصف بصفات الفكرة . فالانسان يعي بينما الحيوان لايعي . وبما ان الوعي هو ادراك الوجود وتذهنه ، لذلك فالانسان يعي لانه يحمل فكرة الوجود في مادته .

. . . .

الانسان اذن روح الوجود لانه مثال العالم المادي وفكرة الله . ولقد تمثلت الفكرة الالهية بالروح التي هي قدرة الحياة التي منحها الله للمادة . وبما انه لايصدر عن الله الا مايكون مشابها له أو متصفا به ، لذلك فان الروح في الانسان هي صفة من صفات الله . ولذلك فان الانسان هو صورة الله .

الفصل الرابع

الانسان

-٢-

ان خلق الانسان وجوب . وما كان وجوبا كان وجودا. ولذلك فقد وجد الانسان على صورة الله لانه يحمل فكرته الى المادة .

ان الارادة الالهيـــة هي التي خلقت وبالتالي هي التي أوجدت ، لذلكفالانسان هو صورةالارادة . وهذهالصورة وجدت في وجود آخر ، لذلك فهي امتداد للارادة الالهية . ويظهرهذ ا الامتداد بالتجسيد .

ان المادة ، كمارأينا ، هيامتداد أيضا لان الحياةأكسبتها هذه الصفة . وهكـــذا فالامتداد صفة مـــن صفات الارادة الالهية . وبما ان الارادة الالهية تصورت المادة ، تصورت أيضا كيف تمنح هذه المادة صفات الامتداد لكي تعقل .

وبما ان المادة انطلاق من ارادة الله فهي اذن تحمل صورة للوجود القائم ، ولا تكتمل هذه الصورة او انهـــا لاتمثل الارادة الا اذا منحتها الارادة صفات تنطلق عنها وبالتـــالي تكون صورة لها. ولذلكتكونالحياة في المادة هي الصورة التي انطلقت من الارادة الالهية . وهكذا يكـــون الانسان

صورة الله •

• • • • • •

ان الانسانهو صورة الله لذلكفهو أزلي الا انه لايمكن الا أن تكون الصورةأزلية لانها صفة للارادةالالهيةالازلية• ولكن هل المادة أزلية ؟ ان المادة أزلية أيضا فقط لانها صورة وجودية للارادة ، لكنها ليست الارادة أي الفكرة • وكما علمنا ان الطاقة يجب أن تكون مساوية للكتلة ، لذلك لا يمكن أن توجد الروح أي الارادة الا في وجود يتناسب مع وجودها ، لذلك تكون المادة أزلية حسب قاعدة الارادةالتي تصورتها فأعطتها هذه الصفة • فهي أزلية من حيث انها انطلقت عن وجود أزلي •

فالمادة أزلية لانها وجدت لتحمل فكرة الازلية • ومع انها محدودة لكنها لا محدودة ، وفي محدوديتها تتذهن الصورة كل محدود ، وفي لامحدوديتها تتذهن الصورة اللامحدودية لكنها لاتدركها ادراكهاللمحدود • ولذلكتحمل المادة فكرة الازلية لانها في محدوديتها تحمل صورا قابلة للتذهن ، وفي لامحدوديتها تحمل التذهن غير الخاضع لامكانياتها هي، أي لامكانيات الدماغ •

ان الدماغ ، وهو يحمل صورا لكل محدود ، يشكل العقل الذي هو الدماغ أي تفكيره • ويستطيع الدماغتذهن المحدود كما يستطيع أن يتذهن اللامحدود • لكن طالما ان الدماغ عمل من أعمال المحدود ويتذهنه فانه يأخذ لهصورة

أو وجودا ، لذلك لايستطيع أن يأخذ صورة للامحدود ولو أنه استطاع أن يتذهنه[1] • لذلك يتذهن الدماغ المحدود ويشكل صورة، ومجموع الصور التي يشكلها تسمى العقل• لكنه لا يستطيع أن يعطي صورة للامحدود مع انه يتذهنه ويشعر به • ان هذا التذهن ، بما انه أثبت وجود الشيء كصورة ، يثبت وجود اللامحدود أي المطلق لكنه لايستطيع أن يعطي له صورة ، وذلك لان المحدود هو من ارادة اللامحدود أي صورة له ، وليس اللامحدود صورة للمحدود مع ان هذا الاخير يشعر به ويتذهنه •

وبما ان المادة تستطيع أن تأخذ صورا متعددة للمحدود وبما انها تصل الى أعلى درجات التذهن ، وبما ان الصورة سابقة وأزلية لان الدماغ يتذهن ما هو مصور من قبل ، لذلك تعتبر المادة والروح أزليتين •

• • • • • •

لقد ذكرنا ان للمادة صورة أي فكرة • وهذه الفكرة هي الارادة الازلية أي هي صفة ملازمة للمطلق وواجبة أيضا • وهذا الوجوب للفكرة يعني ان لها هدفا • اذن للارادة الالهية هدف في الخلق • وهذا الهدف هو الذي من أجله وجد الكون أي الحياة كما وجد الانسان حاملا أعلى درجة للحياة •

ان الله وحده هو الوجود ، اذن هو كامل • وهذا الكمال

---

١ ــ سيتم شرح هذه الفقرة في الفصل السادس

يستوجب اضفاء صفة الكمال أيضا على كل ماهو صورة لله . والانسان هو الصورة لذلك هو امتداد لصفة الكمال . اذن وجود الانسان يوجب فكرة الكمال فيه ، وتحقيقها أيضا . وبما أن الله هو الكل ، الوحدة التامة ، الكمال التام ، الحقيقة الازلية ، الفكرة الكاملة للوجود لانه الوجود ، لذلك أراد أن يتم الوجود أي الخلق لكي يستمر الوجود بالامتداد . ولا يستمر الوجود بالامتداد الا بالخلق . وهكذا خلق الانسان .

ان الخلق هو اعطاء صفة الحياة الى الانسان أي للمادة وبالتالي اعطاؤها أزلية الوجود لانها صادرة عن أزلية الله . وبما ان الخلق قد تم بالتجسيد ، لذلك لايتم الانفصال عن اللامحدود الا باعطاء صفة المحدودية أيضا . ولذلك وضعت الروح في المادة أي بالمحدود ، ومع انها محدودة لكنها تحمل صفة اللامحدود ، أي الامتداد الذي أكسبها الله عندما تجسدت .

لايتم الخلق اذن الا بالانفصال عن اللامحدود وذلك عن طريق التجسد أي حلول الفكرة ، الروح ، في الجسد . وعندئذ يكتسب الوجود الانساني صفة جديدة ، هو صفة الوجود المادي الذي يحمل شخصية جديدة ووجودا جديدا . فالخلق اذن يعتبر اكتساب الشخصية ، ولذلك أصبح الانسان وجودا قائما بحد ذاته بعد التجسد . ولو ان

الانسان لم يخلق لظل في وجود الله أي لانعدم فيــه وكان لاموجودا في شكله لكنه موجود في الله أي منعدم فيه . لذلك اكتسب الانسان حياة جديدة وشخصية جديدة عندما تجسدت الروح . فالحياة الانسانية ، مع انها لاتزال متصلة بالعدم ، خارجة عنه لانها مستقلة . ولذلك كان لابد مـــن التجسيد لكي يوجد الانسان . فالوجــود الانساني هــو التجسيد أو الحلول الروحي في المادة لكي يكتسبالانسان صفة الوجود .

. . . . . .

انسبب الخلق اذن هو لتشكيـــل الوجــود الانساني واعطائه صفة الشخصية التامة المستقلة . والانسان بقدر ما هو مستقل عن الارادة الالهية بقدر ماهــو ملتصق فيهــا لا بالعدم بل بالوجود . ولو انه ظل ملتصقا بالله في العدم لما تمكن أن يكون مستقلا وذات شخصية . واستقلال الانسان عن الله وحصوله على الوجود يعني حصوله على الحــرية . ولذلك كانت الحرية أعظم مفهوم .

. . . . . .

ان سبب الخلق يعني وجود الهدف . وقبل أن يخلــق الله الانسان تصوره ، فأراده ، فكان . وهــذا الكون أو الوجود يجب أن يعمل في هدف ولاجل حقيقة . وبما ان هذا الوجود منطلق عن الوجود الالهي، لذلك فان هدف الارادة الالهية أو هدف الوجود هو أن يعرف الانسان وجوده أي أن يعرف الله .

لذلك كانت المعرفة هي هدف الوجود . ولذلك كانت ضرورة الخلق لانه لايعقل أن يعرف الانسان وجوده اذا كان منعدما في الله . هكذا يجب أن ينفصل ،أي أن يكـــون له كيان ، فكان ، فوجد . وبما ان الانسان كان ، فانه يجب أن يعرف كيانه ووجوده . ولذلك تمثل الوجود بهدف ، هـــو المعرفة . وتتمثل هذه المعرفة بأشكال مختلفة ، أي بأيةطريقة يحاول فيها الانسان أن يبرهن فيها عن وجوده : بالايمان ، بالاثبات الفكري ، بالشعور ، أو بالالهام والوحي والاشراق وبالتجربة الحسية .

وهكذا يتم الخلق بهدف للوجود . وهذا الهدف هـــو المعرفة ، أي معرفة الخلق ذاته . وهكذا يعمل الانسان نفسه في نفسه ، ويعمل تفكيره في تفكيره ، ويغوص في كل أعمال الفكر : فيحس ، ويشعر ويتصور ويتذهن ويحلم ويفرح ويبكي ويفكر ويؤمن ويتعلق بهدف. ولا بد ان يتعلـــق الانسان بهدف لان وجوده لايتم الا بوجود هدف . لذلك فالحياة تسعى لهدف . وبما ان هذه الحياة انطلقت من الله . اذن فانهدف الانسان هو أن يعرف الله ، أي أن يصل الى الكمال .

. . . . . .

ان خلق الانسان من الازلية يعني انه أزلي ، وان اسباب خلقه تدعو الى ايجاد هدف . وبما ان الانسان قد وجد من الأزلية يعني ان اسباب خلقه هو ان يفهم الازل . وهكـــذا

تكون المعرفة هدفه .

مهما تبدلت واختلفت وسائل الانسان فانها تهدف الى هدف والى تحقيق مثال . ومهما ادعى الانسان بوسائله وتجاربه وعلومه وخبرته وحكمته وعظمته ، فهو من خلال كل هذا يهدف الى تحقيق هدف أو مثال .

هكذا ينطلق الانسان من نقطة ليعود اليها . انه انطلق من الله ، لاسباب أرادها الله ، وبشكل تصوره الله ، ولهدف وضعه الله ، وهو يحمل فكرته . وهكذا يفتش عن هذه الفكرة في كل مجالات الكون ،في نفسه أي في داخله ، في المادة ، في ما يحيط به من أجواء ، في تأملاته ، وذلك لكي يعرف السبب . والسبب هو الله ، اذن لكي يعرفه .



الفصل الخامس

الانسان

-٣-

لايمكن الا أن يكون الانسان فكرة كمال لانه يمثل الكون كله . ولا يمكن أن يوجد الانسان بالصدفة أو ان يكون نتاج الطبيعة .

ان الطبيعة كائنة وموجودة لكنها لاتحمل فكرة الله الكاملة لانها صفة بسيطة من صفات الوجود الكامل ، ولانها لاتحمل الحياة الا في درجاتها البسيطة . وبما ان الحياة غير مكتملة في الطبيعة لذلك لايمكن أن يكون الانسان وليدها أو مخلوقها . وبما ان المادة لم ترد الوجود لذلك فهي لاتحمل فكرة ، وليست وجودا بل موجودة . وما هو موجود هو صفة للوجود . وتختلف هذه الصفة باختلاف درجات الوجود أي الحياة .

وبما ان الانسان يمثل الوجود لذلك لايمكن أن يكون وليد الطبيعة . ان الطبيعة أي المادة في أدوارها الجيولوجية لم تكن قادرة ان توجد الانسان لانها كانت متبدلة ، تبتدىء وتنتهي ضمن موجوديتها ، ولذلك لايمكن أن يكون الانسان منها طالما انه أزلي ولايبتدىء ولا ينتهي كفكرة . فالمادة تبتدىء وتنتهي ضمن الوجود . وكل عملية مادية لها بداية

ونهاية ضمن أزلية الوجود. فان كان الانسان يبتدىء بمادته وينتهي فيها ، لكنه يبقى مستمرا في الوجود لانه فكـرة . والمادة تبتدىء وتنتهي في موجوديتها وذلك لانها تخضـع للتركيب والتجزئة . واما الانسان فانه لايخضع للتجزئـة وذلك لانه يجمع كل عناصر الوجود في وحدة تامة تعرف بالفكرة . بينما لاتعرف المادة هذه الوحدة لانها تشكلت من عناصر تتفاعل وتبتدىء وتنتهي . ولذلك فهي تبدل دائـم ومستمر . ولذلك لايمكن أن يوجد الانسان في المادة لانها متبدلة بينما يوجد هو من الفكرة أي الأزل .

ان المادة غير حية تماما اذن هي غير عاقلة . وعـدم كمال الحياة في المادة يعني انها ذات درجة منخفضة في سلم الحياة. وهذه الدرجة المنخفضة من الحياة لاتعقل الحياة لانها غـير مكتملة الحياة .وبما ان الانسان هو ارقى درجات الحياة ، لذلك لايمكن أن يكون من المادة التي هي أخفض درجات الحياة .

ان المادة ساكنة ، وما يخضع للسكون فهو غـير حي . لكن الحياة القائمة في المادة أعطتها حركة . ولذلك وجدت الحركة في المادة . اذن لا وجود للمادة لولا حركتهـا . اما الانسان اذ انه يمثل أكبر درجة حركة أي حياة لا يمكن أن ينطلق أو ان يوجد من حركة قليلة نسبيا في المادة . هذا لان حركة الحياة في الانسان تنطلق عن طاقة حية كبرى في

العكس هو الصحيح في المادة •

ان استمرار الحياة في المادة يعود الى استمرار امتدادها• وهذا الامتداد هو صفة للفكرة • أي انه لايكون لولاها • فوجود المادة هو بسبب هذا الامتداد • ولو أخذنا هـذا الامتداد لعلمنا انه انطلاق في مراحل مختلفة • ولا شك ان هذه المراحل تبتدىء في كل مرحلة وتنتهي في مرحلةأخرى، لذلك فهي الاجزاء التي تتشكل منها المادة • ولذلك لايمكن تذهن المادة ككل بل يمكن الاحساس فيها • بينما نجد ان استمرار الحياة في الانسان هو بسبب عدم تجزئته وذلك لانه أصبح كلاعندما تجمعت كل العناصر مع بعضها ووجدت فيها الفكرة •

ان المادة ، بما ان فيها عناصر مختلفة مجزأة ، تخضع لتفاعلات مختلفة • وتبدو مظاهر هذه التفاعلات في الكون • ولا يمكن أن تكون التفاعلات واحدة لانها مختلفة الاجزاء• لكن المادة في الانسان ، فقد تجمعت عناصرها في وحـدة متماسكة تعبر عن وجود واحد• ولذلك كانت التفاعلاتالتي تتم في الجسد تحقق هدفا واحدا وتعطي مظهرا واحدا • وكل ما يجري في الكون من تفاعلات يجري في الجسد الانساني بنفس الصورة ، حتى ان كل ماناخذه من المادة ، وقـد طرأ عليه تفاعلات عديدة ، يظهر كتفاعل واحد في الجسد • ان التفاعلات في الكون منقسمة وتأخذ مظهر الاختلاف والتجزئة،

لكنها في الجسد تأخذ مظهر الوحدة . فالحليب الذي نشربه والماء الذي ننهله والهواء الذي تتنشقه والمواد الاخرى التي تتناولها ، تتفاعل في جسدنا وتشكل وحدة هي الجسد الانساني بينما تشكل مظاهر مختلفة في الكون ولذلك لايمكن أن يكون الانسان وليد الطبيعة أي المادة لانه يشكل وحدة تامة بينما تشكل الطبيعة اجزاء ومظاهر متعددة .

تعرف الطبيعة أدوارا مختلفة لنموها . ولم يوجد الانسان عليها الا عندما تهيأت لاستقباله أي عندما نمت نموا كافيا . ولذلك لم يوجد الانسان فيها الا عندماأصبحت في دور النضج .وهذا ما يظهره لنا سفر التكوين في التوراة . فالطبيعة قد نضجت لتستقبل الانسان ، فهي اذن مهيأة له حسب فكرة سابقة ومعدة أن تستقبل الانسان في دور تتهيأ فيه جميع الظروف والاحوال الممكنة له . ولذلك لايمكن أن يكون الانسان من المادة ، لان هذه الاخيرة مرت بأطوار خاصة مهيأة سابقا لكي تستقبل الانسان في طورها الاخير . ولذلك لا يمكن أن يكون الانسان منها طالما انها وجدت لأجله .

يتطور الانسان في أدوار خاصة . فهو يمر في دور الطفولة والشباب والرجولة والكهولة . وفي كل دور يدرك ويشعر بالوجود في أحد ادواره . وتعيش الخلية الانسانية في كل دور وتعلم التفاعلات التي طرأت عليها أو حدثت في الجسد

آنذاك . والفكرة في الانسان تسجل أو تدرك أو تشعر بكل التفاعلات المستمرة التي تحدث في الجسد وتحدث في الخلية في كل وقت وكل دور . ولذلك يدرس الانسان الوجـــود خلال حياته أي خلال تطور الخلية خلال أدوار الحياة التي مرت فيها ، أي خلال حياة انسان. ولذلك لايمكن أن يكون الانسان وليد الطبيعة وذلك لان المادة قامت بدور خاص لكي تستطيع الفكرة أن تدركها من خلال وجودها فيها وتفحصها لها ودراستها من خلال الاطوار التي مرت فيها .

ان الانسان لايمثل فقط الكون بمادته أي مجمـــوع العناصر المادية الموجودة فيه ، بل يمثل الوجود الكوني الذي نسميه بالفراغ . فكما ان الكواكب تسبح في الفضاء أي في الفراغ (لايوجد فراغ بل هو وجـود لايمثله مكان) كذلك الخلية تسبح في الفراغ . وهكـــذا تمثـــل الكون الاعظم ، العلوي والسفلي في الانسان. وبما ان المادة لاتوجد أو لا تحيا الا في الفراغ ، لذلك فالفراغ هو حياتها أو روحها. وبما ان الانسان يمثل الحياة في وجوده لذلك يمثل الكـــون كله ، الفراغ والمادة . أما المادة فانها لاتمثل سوى الكون . ولذلك يستحيل أن يوجد الانسان في المادة .

ان الانسان وحدة كاملة من حيث المادة والفكرة . ولا يمكن تجزئة الفكرة كما لايمكن تجزئة مادة الانسان ، فلا نستطيع أن نتصور القلب أو الرئتـــين على حـــدة . لكننا

نستطيع أن تتصور أجزاء الكون منفردة ومـا كان مجزءا لايخضع لفكرة واحدة • وما كان موحدا فانه يخضع لفكرة واحدة • فالاعضاء في الانسان اصبحت جسدا واحدا تحيا فيها قوة واحدة ، هي الروح • لذلك يعني الانسان وحـدة الحياة •

تخضع مادة الانسان للقوانـين الطبيعية التـي وضعت للمادة • وبما ان هذه القوانين قد وجدت لاجل الانسان فهي غير متبدلة وبالتالي لها صفة الدوام والاستمرار • ولذلـك كانت القوانين التي تحكم الانسان دائمة • ولذلك تقـوم اعضاء الجسد بعملها الدقيق كما تؤدي خلاياه المنظمة تنظيما يعجز تذهنه ، عملها بانتظام • وبما ان النظام هو أهم قانون طبيعي ، لذلك تمثل أعظم قانون وأكثره أهمية في الانسان • ان جميع الخلايا تقوم بعملها تماما وذلك حسب النظـام الطبيعي الذي وضع لها • وبما ان النظام الطبيعي دائم لذلك كان الوجود دائما • ولكن الانسان بارادته وحريته ، يعرض هذا النظام للفساد والتحول والانحـراف • ومتى تعرض الجسد الانساني لاحدى هذه الاعراض فان الامراض تعتريه ويتحول من النظام الى الفوضى •

ولذلك كانت الفوضى حالة غير حقيقية أوجدها الانسان • وكل علم انساني ، خاصة علم الطب ، يعمل في الفوضى • ولذلك يخضع الانسان للنظام ، ولكنه ينحرف عنه وهكذا

يتمكن الانسان أن يبقى في عالم النظام والديمومة لكنه ينحرف عنه . وبالتالي لايدوم في كيانه ، ويجب عليه عندئذ أن يتحول . وكذلك وجدالموت بسبب هذاالتحول الذي طرأ على النظام ، فأوجد للمادة بداية ونهاية . فالنهاية والبداية هي عملية ضمن الوجود ، فوجد للمادة بداية ونهاية .فالنهاية أو البداية هي عملية ضمن الوجود ، تضع حدا للمادة بينما يستمر الانسان في الوجود بعد وقوع التحول . ولذلك لايمكن ان يكون الانسانوليد المادة لانهامتحولة ولا تخضع للنظام الطبيعي الدائم .

نستنتج ان الانسان هو وليد الفكرة الازلية التيتستمر في وجودها . وقد ابتدأت هذه الفكرة بتجسدها في المادة . وبما ان الانسان يمثل وجود الروح والمادة معا فهو أعظم مثال للوجود . لذلك يجب أن يحترم الانسان ويقدر .



الفصل السادس

العقل

- ١ -

توجد كل عناصر المادة في جسد الانسان ، كما يوجد النظام بأدق مظاهره. ومن دواعي النظام تحديد العمل واعطاء الصفات للاعضاء التي تشكل الجسم أو الموضوع .

ان وجود هذه العناصر في الجسد الانساني يعني وجوب تنظيمها . والنظام الذي يسيطر أو يدير هذا الجسد يجب أن يتوزع في جميع أنحائه ، كما يجب أن يستقر في مكان معين. ذلك لكي تلتقي جميع التفاعلات الجسدية في مركز واحد .

ان التقاء جميع التفاعلات في مركز واحد ينظم حركة الاعضاء ويعطيها صفة الوحدة والكيان . ولذلك لايستطيع عضو أن يعمل بمعزل عن الاعضاء الاخرى . وان اعطاء صفة الوحدة أو الكيان للجسد يعني ايجاد التناسق والانسجام الى ابعد الحدود ، وذلك لان الاعضاء متصلة ببعضها بوحدة .

ان المركز الذي تلتقي فيه جميع التفاعلات الجسدية يسمى الدماغ . فهو اذن المركز الذي يستقبل كل انعكاس

ويسجل كل حس ويجيب على كل نداء ، ويقـــدم للاعضاء الصور التي كانت قد سجلتها قبلا • ولذلك اعطيت أهميـــة بالغة لهذا الدماغ •

فالدماغ اذن هو المنظم لجميع حركات الانسان وتفاعلاته، بشكل عام، وهو المركز الذي تلتقي فيه جميع الاحساسات • وبما انه في الجسد لذلك يجب أن يشكل مـــن العناصـــر التي تشكل منها الجسد • لكنـــه يمتـــاز بتنظيم هـــائل وتركيز عظيم وتقسيم دقيق جدا لكي يظل على استمرار دائم مع جميع الاعضاء وليبقى الجسد وحدة كاملة •

• • • • • • •

لقد ذكرنا ان الدماغ هو المركز الذي تلتقي فيه جميع التفاعلات ولذلك يجب ان يكون اكثر تنظيما من الاعضاء الاخرى • ولكن هذا الدماغ بالرغم عن دقته وتنظيمه لا يمكن أن يقوم بحد ذاته ولا يمكننا أن نتصوره بمعزل عن الاجزاء الاخرى ، اذن هو متصل بها •

يتصل الدماغ مع الاجزاء الاخرى ويسجل كل ما يأتي منها ، لابل يتغذى من المواد التي يتلقاها الجسد وتتحول الى دم ، كما انه يحصل على قسطه من الحياة بالطريقة التي يحصل عليها الجسد ، وكما ان الدم يمضي الى جميع انحاء الجسد كذلك يمضي الى الدماغ •

ان اتصال الدماغ مع جميع الاعضاء في الجسد يعني انه

يتفاعل معها . وبالرغم انه المنظم لكل حركات الجسد لكنه ينظم ما يأتي اليه من تلك الاعضاء . ولذلك فهو سجل ومستودع أو خزان عظيم ودقيق من المعلومات والانعكاسات التي صدرت عن جميع انحاء الجسد . وبما ان الدماغ على هذه الدقة من الاتصال فانه يأخذ صورا للمواضيع التي ترسل اليه بواسطة الاعصاب الموردة ، اذن توجد في الدماغ قدرة التصور .

ان قدرة التصور هذه تعني الفكر . فالفكر اذن هو قدرة الدماغ على التصور ، وتلقي جميع الاحساسات التي تحول الى ادراك . فالفكر اذن ، كعملية دماغية ، هو ادراك الاحساس . وبما ان الاحساس لايدرك الا بعد انعكاسه وارساله كخبر الى الدماغ ، وبما ان الدماغ لايستطيع ان يتلقى هذا الخبر أو الانعكاس الا بسبب تنظيمه الدقيق ، لذلك يسجل الدماغ جميع الاحساسات فتصبح صورا . وتتكدس هذه الصور في تنظيم دقيق جدا وتنتظم في اماكنها المهيأة لها ، وتصبح افكارا .

ان الدماغ هو المكان الذي تتحول فيه الاحساسات الى صور او افكار . وما هو العقل ؟

. . . .

العقل هو افكار الدماغ أي صوره . وبقدر ما يكون الدماغ قادرا على استقبال واستلام التفاعلات ، أيا كان

مصدرها ، يكون العقل راجحا وحكيما وملما بالمعرفة .

فالعقل اذن هو كل المدركات، فهو الذكاء، وهو الذاكرة ـــ والذاكرة هي استرجاع تفاعلات ماضية بشكل صور ـــ وهو الانتباه ، وهو الاهتمام ، وهـــو التنبؤ ـــ والتنبؤ هـــو استجلاب تفاعلات مستقبلة بشكل صور .

ولذلك يذكر الانسان العقل اكثر من الدماغ . وكما ذكرنا ان كل صورة يجب أن يكون لها امتداد حتى تتركز في اساس . فالروح التي هي امتداد لصفات الله قد تركزت في المادة أي تجسدت فتحددت فيها وتمددت أيضا حتى تبقى على صلة مع المصدر الذي صدرت عنه ، اي الله . والصور التي نسميها العقل يجب أن يكون لها امتداد وبالتالي تركيز في مكان نسميه الدماغ .

ان تركيز العقل في الدماغ لايعني انه الدماغ فقط وذلك لانه محدود وممتد كما انه يحصل على معرفته مـــن مصادر موزعة في الجسد . ولذلك فهو ينظمها ، كما انه يثبتهـــا كمعرفة وادراك . فللدماغ قدرة عظيمة وهي الاستقبـــال والارسال . والعقل ، بما انه صور الدماغ ، هو مجمـــوع التفاعلات التي تتم في الجسد . وبما ان الدماغ هو الذي يستقبل الاحساسات بشكل غامض فتتحول الى مدركات لذلك فان العقل هو القوة المدركة التي تتركز في الدماغ وتنبثق عنه .

فالعقل يعمل على تحويل المادة الى صور اي مدركات بواسطة الدماغ .

هكذا يعتمد العقل على الدماغ لانه يشكل صورة. اذن هو فكرة الدماغ . وبما ان الدماغ هو مركز منظم للجسد، لذلك كان العقل على رأس مملكة المادة . اذن هـد ملك المادة .

. . . . . .

ذكرنا سابقا ان الصورة هي امتداد للفكرة ، وعلمنا ان المادة بعد ان حصلت على الحياة تحيا في عـالم الصور وتستنبط المعرفة ، لذلك فان هدف الوجود هو المعرفة .

يقودنا هذا التعريف الى ان الصورة هي نتيجة عمليـة تنطلق عن فكرة فتمتد ، كما تعود وتنطلق من مادة فتمتد ايضا . فلامتداد قائم في كلا الاتجاهين . الامتدادمن الوجود بقطبيه المادي والروحي . وهكذا لايمكن ان توجد الصورة الا اذا كانت نتيجة حتمية لامتداد الفكرة . وبما ان االفكرة قد تجسدت فان التجسد يعتمد على هذا الامتداد لكي يحصل على المعرفة .

ان الامتداد هو تنمية للفكرة وتطويرها في قاعدة تبدو انها حسية حتى تظهر بشكل صورة وادراك . فالاحساس اذن هو عملية امتداد من المادة الى بعث الموضوع المتـد

بشكل صورة أو ادراك •

والدماغ ،بما انه المركز الذي يحصل على كل الاحساسات، هو الذي ينظمها وينسقها فتنقلب الى صور • فالحس اذن هو صورة ، ولكنها صورة مرت بمراحل الامتداد ، اذن هو صورة ممتدة • اذن ، لولا الامتداد لما كان للحس صورة ، فالحس، لولا قابليته على الامتداد ، لما كان صورة • اذن هو صورة في الاصل لان الامتداد الذي منح له اعطاه قدرة، وهذه القدرة هي الصفات التي استمرت اي تمددت مع الفكرة فأكسبت المادة صورة •

والدماغ ، بما انه المركز ، اذن هو المكان الدقيق الذي يصل فيه الامتداد الى اعلى درجة امتداد في المادة فقط (أي في القطب المادي) ليتحول الى صورة أو عقل بواسطة الامتداد الروحي • وفيه يتجلى الاحساس الذي يمر في مراحل الامتداد ويتحول الى صورة •

• • • • • •

بما ان العقل هو صورة الدماغ اي افكاره، فهو امتداد أيضاً للحس • ويثابر الحس على الامتداد حتى ولو انه أصبح صورة في الدماغ • ان هذا الحس قابل للامتداد الى صور متتابعة وفي نفس الاتجاه وذلك لان كل موضوع في العالم، حتى ولو تصوره الانسان ، قابل للمزيد من التصور أي لمزيد من الامتداد • فالموضوع أو الحس ، يمتد من المادة

الساكنة الى الفكرة ، غير الساكنة ، وذلك كله بواسطه الامتداد الذي وهبته الروح للمادة . اذن هدف الدماغ هو تحويل الاحساس الى ادراك أي الى صور ، صور تمتد وتمتد في عالم الحقيقة والمعرفة حتى تصل الى حقيقتها التامة أي الروح .

. . . . . .

ان العقل ، وهو زعيم الوجود المادي ، يتجه في كل اتجاه ويتصل مع قطبي الوجود ، الفكرة والمادة . لكنه مادي لان قابليته على الامتداد محدودة في عالم المادة . ولايزداد امتداده الا في حالة الاشراق عندما ينحل من ارتباطاته المادية ويثابر في امتداد حتى يصل الى نقطة امتداد فيتحول عندئذ الى فكرة شاملة[1] .

ا ـ سنأتي على هذا البحث في الفصل الاخير .

- ٢ -

أخطأ الاقدمون عنـدما اعتقدوا ان الانسان يقسم الى قسم علوي وسفلي • ان هذا التقسيم صحيح من الناحية الفيزيولوجية الظاهرية ، لكنهخطأ من الناحيةالماديةوالروحية لانه كما علمنا ، ان الانسان وحدة من حيث المادة ومن حيث الفكرة •

لقد ألصق الاقدمون صفات منحطة بالقسم الاسفـل وذلك لانهمركز الغرائز الجنسية ، أيانه القسم الذييحاول ان يغطيه الانسان ويخفيه • كما الصقوا صفات صالحة بالقسمالعلويوذلك لانه مركز القلب، أي العاطفة ، والدماغ أي التفكير •

. . . . . .

لايمكن انيعمل الانسان بقسميهالمتباينين طالما انالكيان واحد • فالانسان عقل واحد وفكر واحد ووجود واحد • وكل مايصدر عن عضو في الجسد فانه يصدر عـن الجسد كله • وهكذا يعمل الانسان بعقل كلي •

. . . . . .

ان قوى التركيز الفكري تنحصر في الدماغ اي العقل،

ولذلك كانت الجبهةمركز ثقل التفكير، واما الوجهالانساني فقد تجمعت فيه اقسام الانسان ، اي مظاهره ، فالجبهة تمثل قوى التفكير بشكل عام ، والانف والعيون والخدان تمثل قوى العاطفة بشكل عام ، أما الشفتان والذقن فانها تمثل القسم الذي تتركز فيه الانفعالات ،

فالوجه أكبر معبر عن حقيقة الانسان لانه يمثل جميع القوى التي تفعل فيه ، واما القوى الرئيسية فهي تلك التي تركزت في الجبهة والوسط لانها جمعت كل القوى الاخرى ، ولا يمكن أن تعبر احدى القوى الاخرى عن مشاعرها واحساساتها الا بعد ان يكون الدماغ قد علم بها ، فالقسم الواحد من الوجه لا يعبر عن مشكلته أو احساسه الا بعد ان يكون الاحساس قد اصبح صورة في الدماغ ، وبالتالي يرتسم على قسمات الوجه ،

. . . . . .

يتركز التفكير بشكل عام في الدماغ ، ويكون في أشد حالاته نقاء وصفاء وحكمة كلما استطاع الدماغ أن يأخذ صورة للاحساس ويدركها بعد محاكمة عادلة ، وتسمى هذه المحاكمة العادلة بالضمير ،

وبما انالدماغ هو محورجميعمظاهرالتفكير ــ احساسات ومشاعر وعواطف الخ،، فهو يحتضنها كلها ، وبما انه لا يستطيع ان يقيم محاكمة عادلة للشهوات والانفعالات لانها تطيح بحكمه وتجرفه ، لذلك يخضع لها ، فتتحول الى

الاقسام التي تحتضنها او تعبر عنها ، فترتسم على الوجه الانساني او تبدو في حركاته واندفاعاته اللاواعية[1] .

لكن الاقسام التي احتضنت الانفعال وعبرت عنه لا تخرج عن كونها دماغا، ولن تتحول الى عقل لانه لم يستطع أن يأخذ لها صورة أي لم يخضعها للمحاكمة بسبب تمردها. ولهذا خرجت سيطرته وظلت في عالم الشهوات والانفعالات والاعمال اللاواعية .

ان العقل ، في جميع الاحوال ، لا يمكن ان يقسم أو يجزأ لانه يعمل في الموضوع كوحدة . ولا يمكن تقسيم التفكير وتجزئته . لان الكيان الانساني يعمل دفعة واحدة في الموضوع بغض النظر عن كونه عملا واعيا أو لا واعيا ــ فيتلقاه ككل ويعمله ككل، ويشعر فيه ككل. ولهذا ، ولو كان العقل أعلى مراتب المادة ، لكنه يعبر عنها تعبيرا صادقا في كل الحالات، الواعية وغير الواعية .

. . . .

وبما ان العقل وحدة والكيان وحدة فانه لا يمكن ان يجزأ الدماغ ويقسم ، بالرغم عن وجود انعكاسات في الانسان.. انعكاسات تؤدي الى الشهوات والانفعالات والدوافع. وهذه كلها وضعناها ضمن مفاهيم التمرد على العقل الذي هو القوى الواعية التي تعمل في الجسد . وعندما تفلت أو بالاحرى عندما لا يقيم العقل محاكمة عادلة وحقيقية ، واذا أهملها ، ولم

١ ــ سنعمل على توضيح هذه الامور في الفصول التالية.

يحاول فهمها ، واذا انقادلها ، فانه يصبح خاضعا ، وبالتالي يكون العقل في نزوة • وتعصف أعاصير الانفعالات في العقل فتقتله ويصبح لا واعيا • ان حالة كهذه ، اذ يعمل الجسد ككل ووحدة ، ترمي العقل في هوة « الغفلة » والايقـــاع وارتكاب المعاصي • وهكذا يعمل العقل ككل ــ واعيا أو غير واع ــ لانه مجموعة الاحساسات كلها •

اما عندما يعمل العقل ويأخذ صورا للاحساسات ويدركها ويتذهنها ، فانه يضع القيم لها وبالتالي يصنفها لكي يسهل عليه فهم الوجود • وهكذا يقوم العقل بدوره الفعال في حقل الوجود المادي لانه وسيلة الفهم • ويمثل الامتداد أي الحالة التي يصبح فيها متصلا مع الفكرة •

. . . .

ويهمنا ان نقول ان العقل هو التركيز العظيم لقــوى الانسان المادية لانه الحاكم الحقيقي لكل اعمال المادة ، كما يهمنا ان نقول انه التركيز العظيم لقوى الانسان الفكرية اي الروحية ايضا لانه الامتداد الحقيقي لصفات الفكرة •

هكذا نرى ان العقل يتأرجح بين هذه القوى ، العلوية والسفلية • واما ان ينقاد لهذه أو لتلك • واما عمل العقــل الصحيح هو ان يعادل بين القوتين لكي يرفع المادة القابــلة الامتداد لكي تحصل على صفات الفكرة أي الروح التي نعبر عنها بعملية التذهن أو التصور • وهكذا يكون العقل قوة جبارة •

. . . .

ان العقل هو ملك المادة والطبيعة كما هو ملك الاحساس. وكل احساس هو وحدة شعور تنقل مباشرة الى الدماغ لتتحول الى عقل . ولكنه ، في نفس الوقت ، جزء من أجزاء الطبيعة . فالاحساس يكون وحدة شعور عندما يتحول الى عقل ، وتصبح الصورة فكرة ولايمكن تجزئتها لانها تركزت ككيان في الدماغ، وهو جزء من أجزاء المادة وذلك لان المادة تصل الينا كأجزاء . ولذلك لايمكن أن يكون الاحساس صورة الا اذا كان شعورا . وهذا الشعور ، هو القدرة على تصوير الاحساس لكي يحتل مركزه في عالم العقل . ولذلك فان عملية تحول الاحساس بواسطة الشعور هو العقل . ولا يعني الاحساس شيئا الا اذا أضحى شعورا . فالشعور هو امتداد الحس ، والعقل ، بما انه يأخذ صورا للحس ، هو مجموع الشعور الذي ينقل كل الاحساسات ليقدمها صورا للعقل . وهنا يعمل الشعور كوسيلة للنقل[1] .

ان الاحساس جزء بحد ذاته ولانستطيع به ان نأخذ صورة كلية للكون . وبما ان الانسان لايعيش فترة طويلة من الزمن ليجرب كل أجزاء المادة ، لذلك لايستطيع ان يشكل مطلقا منها . وهكذا لايمكن أن تؤدي الاجزاء الى ادراك مطلق لان كل جزء هو عملية حسية قائمة بحد ذاتها ويمكن ان لاتكون مطابقة في الجوهر على الكل . وهكذا لا يمكن أن تؤدي الاجزاء كلها الى المطلق . واما الشعور فهو اعطاء

---

١ ـ سيتم توضيح هذا القول في الفصل السابع .

صورة للاحساس في الدماغ • وبما انه الامتداد الذي يعطي للاحساس معنى ، لذلك يساعد العقل على تذهن المطلق ولو لم يدركه كلياء وبما ان الشعور غير قابل للانقسام ، ولو انه امتداد ، فالعقل غير قابل للانقسام •

• • • • • • • •

وبما ان العقل يحصل على المعونة بواسطة الاحساس مباشرة وبواسطة الشعور أي الامتداد بشكل غير مباشر ، لذلك لايمكن أن يكتمل طالما ان الاجزاء الحسية لاتشكل الكل ، هذا اذا علمنا ان الجزء هو عملية حسية واحدة قائمة بحد ذاتها لكنها غير قابلة للامتداد أو التذهن الا اذا أصبحت شعورا أو ادراكا • وعندما تصبح شعورا أو ادراكا تفقد وجودها كجزء لانها تمتد فتحصل على صورة • ومع كل هذا لانستطيع ان نصل الى هذا التجريد بدون وجود الاحساس •• هذا الاحساس الذي يتمثل أيضا في العقل •

• • • • • • • •

ذكرنا ان العقل ، مع انه ملك الحس والطبيعة ، يحصل على المعرفة بشكل غير مباشر بالامتداد الذي يحول الحس الى شعور وبالتالي الى صورة• ويقودنا هذا الى الخوض في موضوع النفس لكي تكتمل حلقات دراستنا •

الفصل السابع

النفس

- ١ -

تبتدىءمعرفتنا بالاحساس وتنتهي بالشعور أو بالادراك، ومع ذلك فان عملية الاحساس هي عملية شعور ، وبالتالي لا يمكن أن نفصل بينهما . فالشعور ، وهو امتداد للاحساس، موجود في الاحساس أيضا . والاحساس ، وهو حالة طبيعية قائمة بحد ذاتها أو هو وحدة شعور ، مضمون في الشعور . وبما ان الشعور موجود في الاحساس ، والا لما استطاع الانسان أن يشعر ، فهو وجود حقيقي يعبر عن كيان ، ويعبر عن الوجدان .

تعتبر عملية الاحساس مظهرا فيزيولوجيا أي جسديا ، وتعتبر أيضا الوسيلة المباشرة للاتصال بالمواضيع الخارجية. لكنه ، كعملية ادراك تصبح شاملة وصعبة ، وكل ما نستطيع أن نعلمه هو ان الاحساس ، باتصاله بالموضوع الخارجي ، يقف عند حد معين . فاما أن يقوم بنقل اتصاله وتأثره بالموضوع الخارجي فيكون شعورا أو ادراكا ، واما أن يقوم بعملية الاتصال الخارجي فقط .

ان الاحساس موجود في كل الجسم ، وكذلك الشعور.

لذلك يجب ان يكون عامل اتصال ووسيلة المنقل أيضا • ويعلمنا علم الفيزيولوجيا ان الاعصاب الموردة تنقل الاخبار والمواضيع ، وكل ما يتصل بالاحساس بصلة الى الدماغ لتصبح صورة أو ادراكا • ولكن المسألة ليست بهذه السهولة للاسباب التالية :

١ ـ لايتحول كل احساس مباشرة الى معرفة أو ادراك •

٢ ـ لانفرق بين الشعور النفسي المحض ، غير الحسي ، وبين الحس المتحول الى شعور •

٣ ـ يصعب علينا ان نفرق بين الشعور والحس •

٤ ـ يصعب علينا أن تتذهن الحس والاعصاب الموردة • فهل نعتبرهما واحدا أم اثنين ؟

٥ ـ هل نقبل بتجزئة الجسد أم نعتبر الحس هو الذي يقوم بكل الشيء !

٦ ـ لانستطيع أن نتأكد ان كل حس هو ادراك فعلي ، أي يمكن أن لايحمل صورة حقيقية للموضوع • ولذلك لانستطيع أن نتأكد من أي موضوع •

٧ ـ ان عملية الادراك تتم على مراحل ، لذلك فهي مجموعة أحاسيس • ولذلك يصعب أن تتذهن الحس بأنه الناقل الحقيقي لصورة الموضوع •

٨ ـ ان عملية الاحساس لاتفسر الادراك وذلك لان

الادراك عملية داخلية كما هي خارجية .

٩ ـ ان هذه العملية الداخلية حقيقية وموجودة ، لذلك يجب أن يكون للحس مفهوم أعمق .

وبالرغم من كل هذا نعلم ان الحس هو احدى العمليات التي تعمل لاجل تكوين الفكر . ولذلك لايمكن تجاهله كما لايمكن الاعتماد عليه كليا .

. . . .

ان العملية الحسية هي عملية تجريبية ، قبل كل شيء ، ولذلك لانستطيع أن نربط ادراكنا بها للاسباب التالية :

١ ـ توجد مواضيع كثيرة لانزال نجهلها مع انها خضعت لعملية الحس .

٢ ـ توجد مواضيع كثيرة نفكر فيها دون أن تكون عملية حسية .

٣ ـ ان ادراكنا لايعتمد اعتمادا كليا على الحس لان الاحساسات ذاتها تختلف في الدرجة أي في الكيف .

٤ ـ كون احساساتنا تختلف في الكيف يبرهن لنا انها ليست مقياسا واحدا للكم .

٥ ـ يتخطى تفكيرنا الحدود التي يرسمها الحس له ولذلك فهو ممتد بينما الحس قياسي ، جزئي وتجريبي .

٦ ـ ان احساساتنا وليدة الحاجة ، ولذلك ليست هي من فعل الوجود الحقيقي . وتعريف الحاجة هو الاضطرار

والفعل لاجل الاستمرار في الوجود • وتعريف الوجـــود الحقيقي هو المعرفة المطلقة • وهكذا لايلتقي الفعل بالمعرفة•

وبالرغم عن كل هذا يبقى الحس عاملا مهما في الوجود وذلك لانه درجة اولى في سلم الوجود •

• • • • • • • •

اذا كانت معرفتنا تبتدىء بالحس وتنتهي بالشعور • اذن فالحس يمتد • وبما انه يمتد فهو مضمون في هذا الامتداد ، أي انه درجة اولى للشعور • وبما ان الشعور امتداد من المطلق، وبما انه يبتدىء بالحس لذلك فهو امتداد له ، ويؤدي للادراك •

واذا كان العقل امتدادا للحس أي للمادة ، وهو تفكير الدماغ ، ويتصل بالمطلق والجزء معا ، لذلك كانت حيـــاة الانسان ومعرفته قائمتين على المادة والروح •

واذا كانت المادة لاتقدر ان تشكل وحدة مـــع الروح لانهما مختلفتان ، وجب أن تقوم صلة بينهما أو رباط يشدهما الى بعضهما• وهكذا يجب أن يتضمن الرباط أو الصلة مفهوم الروح والمادة ، أي يجب أن يحمل صفاتهما معا • وهذه هي قدرة الامتداد •

ففي الامتداد لانستطيع أن نفرق تماما بين ما هو مادي وما هو روحي ، وذلك لان المواضيع تستمر في وجودهـــا

الحسي والشعوري ولانستطيع أن نحدد درجـات التذهن لانه امتداد لاحد له من الاحساسات المتحولة الى شعور أو الى ادراك أو تذهن • ولا نستطيع أن نقف عند درجة معينة من الوجود لانه يصعب تحديد هذا الموقف طالما ان الوجود أصبح وحدة متماسكة •

نستنتج ان الروح ترتبط بالمادة ، فتمتد المادة وتتضمن فيها • ولا يمكن عندئذ ، في حالة الحياة ، ان نفصل بـين العنصرين لانهما ملتصقان الى درجة الانعدام في بعضهما ، وهذه هي الحياة التي لايمكن أن تنفصل ، لانها اذا خضعت للانفصال ، يموت الانسان •

• • • • • • • •

ان الروح ، التي هي عنصر الوجود أي الحياة ، تعطي من صفاتها للجسد لكي تستطيع أن تكون به • ان القوة أو القدرة التي تعطيها أو تمنحها الروح للمادة تجعل هذه الاخيرة ان تحيا في عالم الاولى أي ان تمتد به • فما هي هذه القدرة التي تمنحها الروح للمادة ؟

هي النفس • فالنفس اذن هي الصلة التي تجمع بـين العنصرين • وبما ان العنصرين متباينان، لذلك يجب أن تحمل النفس صفات الاثنتين • فهي روحية بقدر ما هي مادية • هي روحية لانها صفة منحت للمادة ، وهي مادية لانها قـادرة أن تعلو بالمادة الى سلم الرقي في عالم الروح •

وتعتبر النفس رقيقة جـدا . فكم يعبر الانسان عـن آلامه النفسية ، وكم يصف أعماقه ومشاعره . ان المـادة ، عندما تكتسب صفات الروح ، والروح عندما تتصل بالمادة ، تخلق وجودا . ان هذا اللقاء يعطي صفات للانسان وتتشكل الحياة . ونعبر عن هذه الحياة بقدر ما نحس بها ، ونشعر بها وندركها . ولذلك كان الاحساس والشعوروالادراك نتائج حتمية للقاء الروح مع الجسد .

ان الاحساس أكثر مادية لكنه متصل بالروح ويصبح شعورا ، والشعور أكثر روحانية لكنه متصل بالاحساس ، وعميق به ، ويعبر عنه . والادراك هو عملية الجمع بينهما أي النتيجة . فهو اذن من فوق ومن تحت ، أي من الروح والمادة . وهكذا يتشكل العقل .

وكما ذكرنا ان العقل هو ملك المادة وزعيمها لانه المركز الدي تنصب فيه جميع الاحاسيس والمشاعر والانعكاسات والادراك . ولذلك فهو المنظم لجميع هذه الموجودات ، ويجب ان يبقى منظما لها . واذا طرأ عليه الاختلال فان الوجـود لايكتمل ، لعدم توفر التنظيم له .

. . . .

تولد الشعور عندما تجسدت الروح بالمادة ، أي تولدت النفس عندما تجسدت الروح . فالنفس تعبر عن كل موجودات الكيان أو معطياته ، من مجرد احساس ، مبهـم أو واضح ،

نافص أو كامل ، الى شعور بشكل تذهن أو ادراك • فالادراك أقرب للحس لانه مباشـر ويعتمد على التجربة والتجزئة • والتذهن أقرب الى الشعور لانه مطلق ويقوم في صفـات الروح • ولكننا لانقدر أن نفصل بينهما لانهما ارتبطا بالتمدد الذي أوجد منهما الحياة •

• • • • • • • •

ان النفس ، بقدر ماهي خالدة هي فانية ، وفي الاساس لا وجود لها • انها لم تسبق الوجود ولم توجد به ، بل انها صفة الحياة • ونحن نعبر عن الحياة بكل احساس وكل شعور وكل ادراك وكل تذهن •

وبما ان الاحساسات تنشأ عن الطبيعة المادية ، والشعور ينشأ عن الطبيعة الروحية لذلك يجب أن يخلق وجود يربط بينهما • فالنفس قادرة على حمل الاحساسات الى الدماغ ، لانها متصفة بصفات المادة والروح معا • وهي قادرة على حمل الشعور أو التذهن أو كل صفة روحية الى المادة لانها تتصف بصفاة الروح • فالنفس هي الوسيلة التي يتم فيهـا التجسيد •

وبما ان النفس تشترك بين العنصرين وتحمل صفاتهمـا فانها تعرف بالامتداد • ويعتبر هذا الامتداد الصفة البارزة للوجود لانه لايتم بدونه • وتحمل هذه النفس كل لواعج الآلام وانعكاسات الجسد ، فهي مادية ، وتحمل أيضا كل

اشراق وشوق ومحبة وانعدام فهي روحية . وتبدو مظاهرها في الانسان لانها الصفة الظاهرية لسلوكه . فكل مظهر من احساس أو شعور أو ادراك أو انفعال أو غضب أو قسوة أو محبة أو رأفة .. هو نفس .

. . . .

- ٢ -

النفس هي حركة المادة ، أي الوسيلة التي تحيا بها وذلك لانها تشكلت منذ ان وجدت الحياة في المادة ، أي منذ تجسدت الروح بالمادة • وهي كاملة غير ناقصة ، واحدة وغير مجزأة• واذا اقتطع جزء من الانسان فان نفسه تبقى واحدة ، مع ان الجسد معرض للتجزئة • لذلك تبقى النفس عملية حيـــاة للجسد لانها الوسيلة التي تمنح الروح صفاتها له • وهـــي صفة للحياة• فاذا فقد الانسان شعوره أو احساسه أو ادراكه، فيكون قد فقد نفسه ، وبالتالي يتأثر الدماغ أي العقل ، مع ان موقفه من الاشياء يبقى ثابتا ، لكن المواضيع لاتنقل اليه بشكل صحيح بل بشكل مشوش ومضطرب ومبهم ، لذلك يتعرض للضياع لانه يفقد صفة التنظيم ، ولانه لايقدر على العمل بدون النفس ، وذلــك لانهــا هي التي تنقــل اليــه المعلومات •

ان الفرق بين النفس والعقل واضح ومهم في ذات الوقت• انه واضح لان العقــل يعتمد على النفس التي تنتقــل الى الدماغ كل انعكاسات المادة وتأثيراتها بالمواضيع الخارجية والداخلية ، ومهم لان الدماغ ، ولو انه ظل كما كان من حيث

تكوينه ، لايستطيع أن يشكل الصور ويصل الى الادراك والتذهن عندما تتأثر النفس وتتحطم آليتها . وهكذا يفقد الجسم الحركة ، فيفقد القوة التي اعطتها اياها الروح ، فلا تصل المواضيع الى الدماغ صحيحة بل كاذبة ومشوشة ومبهمة. وهكذا يفقد العقل صفة التنظيم ولا يستطيع ان يغوص في عالم الماهيات والصور . فالنفس اذن ، وهي ملكة الشعور ، هي الصفة العظيمة التي تكسب العقل صورة وتساعده على التنظيم والتقدير والتقييم للمواضيع ، وبالتالي الحصول على الماهيات والافكار . ويجدر بنا أن نقدم بعض الامثلة لتثبيت أقوالنا .

اذا تعمقنا في دراسة انسانين في حالتين مختلفتين وفي وضعين مختلفين من التفكير : الاول في حالة غضب أو اعياء أو انهاك أو تأثر شديد أو انفعال قوي أو كره شديد أو هيجان ، والثاني في حالة هدوء وراحة ومحبة وتركيز . نقول ان حالة الاول هي حالة نفسية قلقة ومضطربة ومشوشة ، وحالة الثاني هي : حالة نفسية هادئة ومرتاحة وغير قلقة . والآن ، اذا طلبنا الى هذين الشخصين ان يتعمقا في دراسة موضوع ما أو ان يقدما دراسة لموضوع ما ، أو ان يفكرا في موضوع ما ، أو ان يتأملا في موضوع ما ، أو ان يظهرا سلوكهما تجاه موضوع ما ، نجد ان الاول ، وهو القلق المضطرب ، لايستطيع أن يركز أو ان يعطي نتيجة جيدة بينما

يستطيع الثاني ، وهو الهادىء ، ان يركز وان يعطي نتيجة أفضل .

واذا طلبنا الى كلا الانسانين ان يركنا الى النوم ، فأي الذي يستسلم للنوم بسرعة أكثر . واذا طلبنا اليهما ان يتذكرا الذي يستسلم للنوم بسرعة أكثر . واذا طلبنا اليهما ان يتذكر تفاصيل حادثة ، فأي منهما يقدر أن يتذكر التفاصيل بجدية أكثر ؟ هو الهادىء والمرتاح البال طبعا . واذا طلبنا اليهما أن يقدما على أمر من الاندفاع واللامبالاة، كالانتحار أو الانفعال الشديد ، فان الثائر المضطرب هو الذي يقدم بسرعة أكثر .

نستنتج ان العقل لايتم تنظيمه الا اذا رافقه هدوء نفسي ، وبالاحرى هدوء عصبي . ولذلك يبني تنظيمه للمواضيع وتذهنه لها على النفس التي هي الشعور والوسيلة التي تنقل الاحساس المادي الى الذهن . فالفكر اذن حالة نفسية .

. . . . . .

وهنا تكمن عظمة الانسان. فمع ان العقل هو زعيم مملكة المادة لكنه لايستطيع أن يعمل في التنظيم الا اذا ساعدته قدرة تسمى بالحركة ، لان لاحياة بدون حركة . ولذلك تكون النفس هي حركة المادة . فالعقل لايأخذ انطباعاته مباشرة من المادة أي من الاحساس بل لابد وانه يعكس عليها ويفكر فيها[1] .

١ ــ لو كان العقل ينطبع مباشرة بالاحساس لكان عمله انعكاسا بحتا ، ولكانت أفكاره مضطربة هوجاء قلقة ، ولما كان هناك فكر .

والعقل لايستلم الاحساس مباشرة بل يدقق فيه ويصنفه وينظمه ، اذن هو يفكر ويتصور ويتذهن • ومن أين تأتيه هذه القدرة ؟ انها تأتيه من الاحساس المباشر الذي يمده بالمادة الاولى ، ومن الروح التي تعطيه صفات الامتداد بواسطة النفس •

لا تكون عظمة الانسان أن يتأثر بانطباعات مباشرة بل أن يعمل تفكيره في فكره ، أي ان يعيد أي انطباع اولي مرة أو مرارا لكي يحصل على صورة ناصعة ، أو على تذهن أو ادراك • والعقل ان لم يستطع أن يدرك فانه يتذهن • فهو يعيد دراسة الموضوع • وهذه الاعادة عملية داخلية ، أي قدرة داخلية ، هي النفس التي تشترك في كلا الروح والمادة• وهي الروح التي توحي ، بواسطة النفس ، أن يعيد العقل دراسته مرة أخرى •

• • • • • • •

نستنتج ان عظمة العقل تتوقف الى حد بعيد على النفس وكلما كانت النفس سامية كلما كان العقل ساميا • وكلما كانت قادرة على اضفاء الصفاء والنقاء ، بواسطة الهدوء ، للاحساس المباشر ، كلما كان العقل قادرا ان يحصل على صور صحيحة وقوية للمواضيع •

ونستنتج أيضاً ان عظمة النفس تصدر عن عظمة الروح لا المادة• انها لاتعتمد على المادة أولا لانها ساكنة وثانيا لانها

حركتها أي شعورها أي حياتها. فالنفس اذن هي قوة الشعور أو الحركة في المادة. لكنها تستمد قدرتها من الروح . وكلما حصلت على صفات اضافية من الروح أي كلما ازدادت روحانية كلما كانت قادرة أن تشعر أكثر بالوجود أو بمواضيع الوجود . ولذلك تأخذ النفس عظمتها من الروح ، فتصبح قادرة على الامتداد ، وبما انها مادة ، فهي مادة روحانية ، أي انها تمتد في عالم الروح والمطلق .

والنفس كلما تعالت في عالم الروح كلما ساعدت العقل على المعرفة والشعور ، وذلك لانها تأخذ من صفات الروح أكثر فأكثر ، وتصبح قدرتها على الامتداد أكثر فأكثر ، ويحصل العقل على المزيد من الصور الناصعة النقية والصافية ، فيصبح اكثر تنظيما أي أكثر حكمة وعظمة في عالم الماهيات والصور .

ونستنتج ان العقل زعيم المادة وهو ساكن لكنه يحصل على الامتداد فيتحرك . وهذا الامتداد هو تفاعله مع النفس . ومع ذلك لا يحصل العقل على الامتداد بذاته ولذاته بل بواسطة النفس وذلك لانه ساكن . وكل ساكن يبقى ساكنا حتى تحركه قدرة . وهذه القدرة التي تحركه تضمن فيه وتضفي عليه صفة الامتداد وهي النفس . وهذه النفس ، بدورها ، اذ انها صفة ملازمة وهي النفس . وهذه النفس ، بدورها ، اذ انها صفة ملازمة للوجودين المادي والروحي ، تكسب صفاتها من الروح وتمتد فيها ، وتعطي من هذه الصفات الى الدماغ أي المادة . وكلما

أعطت الروح من نصيبها أي من قدرتها الى النفس كلما كانت النفس قادرة أن تنقل صفات الروح الى الدماغ • وكلما كان الدماغ قادرا على الشعور بالوجود وكلما كان قادرا علـى التذهن • فالعقل يعتمد اعتمادا كبيرا على النفس ، حتى يكاد أن يكون منها وبها ، مع انه يحتفظ بوجوده الخاص اذا بطل اتصاله في النفس ، ولكنه يبقى بدون قدرة تذهن أو شعور •

• • • • • • • •

كيف يحتفظ العقل بوجوده الخاص اذا بطل اتصاله مع النفس ، فيبقى بدون قدرة تذهن ؟

أمامنا ثلاث حالات : حالة تأمل رقيقة جدا ، وحـالة غيبوبة وحالة اغماء • ونبدأ بالحالة الاولى •

انسان جالس في مكان هادىء جدا يتأمل ويفكر • انه بعيد عن الضجة ، وهو مسترسل في عالم عميق من الفكر • ان تفكيره ينساب ولا ينقطع اذ لاتوجد ضجة أو صوت أو أية عرقلة تقف دون انقطاع سيلان أو امتداد تفكيره • ان هذا الانسان يتأمل[1] وفجأة تأتي المشكلة ، يتدخل عامـل من عوامل الانقطاع ، فاما ضجة أو صوت انسان آخر أو يزعجه أحد الناس بتدخله • وفجـأة يستيقظ المتأمل ••• كأنه كان في غفلة•• كأنه كان في عالم أرق من العالم العقلي••

١ ـ ان تأمل هذا الانسان يمكن ان يكون عميقا جدا حتى يصبح غيبوبة ، كما انه تأمل أعمق بقليل من تفكير وتأمل الفرد العادي .

وكاد أن يصل الى الغيبوبة أو النوم ••• ان افكاره كـانت مسترسلة في عالم من الصور والتذهن والشعور ••• وفجأة اعترضتها صعوبة فقطعتها • لقد عاد ذلك الانسان الى عالم الدماغ ، الى عالم الحس المباشر ، الى يقظته واندماجه في الاحاسيس المادية المباشرة• ولو استرسل ذلك الشخص أكثر فأكثر لكانت يقظته أصعب أو عودته الى الانتباه المباشر أكثر مشقة وذلك لان استرساله في الفكر أي امتداده كان قـد وصل الى درجة أعمق من الدرجة التي يمكن أن يصل اليها العقل في حالة سكونه •

ما هو ذلك العالم الأرق من العالم الحقيقي ؟ ماهي تلك الشدة الفعلية أو الغفلة ؟ ما هو ذلك الاسترسال الفكري؟ لم يكن تفكيره دماغيا ، ولو كان لما كان العقل ذاته في نشوة• انها حالة نفسية، حالة امتداد لانهائية في عـالم الروح ، ذات درجة كبيرة أو قليلة •

• • • • • • • •

أما الحالة الثانية وهي الغيبوبة ، فهي أكثر علاقة بالحالة النفسية لانها امتداد أكثر واتصال، يصل، في حالته القصوى، الى عالم الروح أو المطلق • واذا استمر الانسان في التأمل ، في حالة تنعدم فيها العراقيل الخارجية أو تقل ، فانه يصل الى حالة نفسية يكاد أن ينقطع فيها عـن الاحساس بوجـوده الخارجي • وتسمى هذه الحالة بالغيبوبة • وتكون الغيبوبه

على درجات ، وتتناسب مع حالة الاستمرار في التأمل ، حتى انها تصل الى الاندماج في عالم الروح ، أي في لامحدودية الزمن أي المطلق • ويتعرض المتأمل وهو في هذه الحالة الى هزة نفسية عنيفة اذا ما فوجىء بصراخ عال أو عائق خارجي مقلق ومشوش •

تعتبر هذه الحالة أو الدرجة من التفكير حـالة نفسية أعمق بكثير من التفكير العادي الذي يتم بواسطة الدمـاغ مباشرة • ومع ذلك لاينفصل الدماغ في الغيبوبة عن العملية النفسية لانه يبقى مسجلا ومستودعا ومنظما • وهكذا يسمو العقل بسمو النفس ، ولاشك ان من يصل الى درجة كهذه يجب ان يكون عظيما بعقله • وكل عظيم أو فيلسوف أو عالم كبير يمتلك نفساعظيمة ، ولا يبدع انسان ولا يخترع ولا يصل الى درجة فكرية كبيرة الا اذا كان يتمتع بقوة نفسية عظيمة• ولذلك نرى العلماء والمفكرين في حـالات من الذهـول ، تختلف في الدرجة فقط •

اما الاغماء، ولو انه حالة جسدية أكثر منها نفسية ، لكن النفس تظهر فيها بوضوح• فلو وخزنا شخصا تعرض للاغماء لشعر بالوخزة ولاتنفض • فهو لايعي دماغيا ، أي عقليـا ، مؤثرات الوخزة والا لالتفت الينا وكلمنا ، بل انه يتأثر نفسيا• وهنا تبدو الاعصاب انها المؤثر الذي يتأثر بهذه العملية • فالنفس تبقى مستيقظة بينما يغفل العقل عن واقعه وعـن

جسديته . وتعمل النفس كقائدة للجسد في هذا المضمار . ولذلك تنعكس ردود الفعل وذلك لان العقل غافل عن عمله. أما عندما تشترك النفس مع العقل فلا ردود فعل هناك بل ادراك أو تذهن . وفي حالة الاغماء تبطل أهمية العقل وتعمل النفس عوضا عنه. ولا تعمل النفس بكل قدرتها وامكانياتها وذلك لان الجسد لايقوم بآليته التامة أي بحركته التامة. وهكذا تبقى النفس قائمة بحد ذاتها ولو انعدم اتصالها مع الدماغ ، ولو انها لاتفعل فعلها الصحيح لو كان الانسان في تمام وعيه .

. . . .

تعتبر هذه الحالات الثلاث أوصافا لاهمية النفس في وجود الانسان . ففي الحالة الاولى ، وهي حالة الذهول الرقيقة، الحالة الاكثر سموا من الحالة الدماغية البحتة، يشترك الدماغ مع النفس، فيصلان الى حالة تصور أو تذهن عظيمين. وفي الحالة الثانية ، وهي حالة الغيبوبة ، حالة الاسترسال في عالم لا محدود ، ينعدم فيها الزمن وتنطلق امكانيات الانسان من المحدود مع بقائه في محدوديته ، تقوم النفس بعملها أكثر من العقل . واما العقل فانه يسجل ويراقب لانه يأخذ المعرفة الآن من مصدر أكثر عمقا ، مصدر غير مباشر . هذه الحالة هي الاشراق والاتصال بالروح . وفي الحالة الثالثة ، وهي حالة الاغماء ، حالة انعدام التفكير الدماغي ، وتوقف

الاحساس المباشر بالوجود الخارجي ، وفقدان الدماغ لملكاته وقدراته ، تقوم النفس بعملها فقط دون مشاركة الدماغ ، وذلك لانه في حالة ركود واستقرار ، أي في حالته المادية الساكنة التي تنعدم فيها الحركة . ولكن يجب أن يبقى الجسد في حالة حركة والا فان الحياة تنعدم . وهكذا تبقى النفس مستيقظة وتقوم بدور الوسيط . وبما ان الدماغ لايستطيع أن يسجل أو ان يقوم بعمله كمنظم ، لذلك تعتبر ردود الفعل الجسدية انعكاسات . فالانعكاس وردود الفعل تنتج عن عدم مشاركة العقل ، اذن هي لا واعية .

★ ★ ★

- ٣ -

نستنتج ان النفس موجودة في الجسد ، ولكننا لم نعط بعد سوى أوصافها . وتتساءل الآن عن مركز النفس فـي الانسان . ويجدر بنا أن نقدم بعض الامثال الاخرى فـي هذا المجال . ولقد تقدمنا بعض المفكرين بتقديمها .

لنتأمل في حالة انسان مسرور . يغتبط هـذا الانسان لسماع الانباء السارة ، فيفرح ويسر ويسعد . ولو سألنـاه عن سبب سروره لاجاب . ولو رجوناه أن يحدد لنا المكان الذي ينبثق عنه السرور أو السعادة في جسده ، وأي مركز في جسده أكثر سرورا من غيره ، لكان جوابه صعبا ودقيقا . وكل ما يستطيع أن يقوله هو انه مسرور بكل روحه وكل نفسه وكل جسده . انه مسرور ، وكفى ، ولا يستطيـع أن يحدد مراكز السرور .

لنتأمل انسانا آخر في حالة الألم . ولنسأله ان يحدد لنا مكان الحزن في جسده أو في تفكيره . انه لايستطيع أن يبين لنا مراكز الالم في جسده أو في تفكيره .

ويمكن أن تعترضنا أمور كثيرة في بحث كهذا ، كمـا

يمكن أن يفرق الناس بين الالم الجسدي والالم النفسي ، وبين الفرح الجسدي والنفسي . واذا كان لابد من التفريق فنقول بوجود الفرق بين اللـذة والسعادة . فاللذة آنيـة شهوانية ، لا عقلانية ، والسعادة دائمة ونفسية . ونجيب أنه لافرق بين الألمين وبين السعادتين وذلك لاننا لانستطيع أن نضع حدودا بين العقل والنفس طالما انهما متشابكان ومندمجان تماما في عملية حياة واحدة . وفي هذه الحالة يعتبر الالم نفسيا كما يعتبر الفرح نفسيا أيضا ، مع ان العقل يقوم بتسجيـل دقائق المشاعر والاحساسات وينظمها وفق ماترد اليه . اما اذا اشتدت حالة الألم أو الفرح فانها تخرج عن نطاق العقل فلا يستطيع أن يقوم بدوره المنوط به . ولذلك تقع هذه الظواهر في حقل النفس ، كما انها تعبر عنها وتعتبر من أوصافها . ولا شك ان اشراك العقل مهم ، وذلك لاعطاء صفة الركود والهدوء للحزن والفرح ولتنظيمهما في دائرة العقل واعطائهما صفـة العقلانية .

. . . . . .

نستنتج ان النفس موجودة في الاعصاب . فالاحساس والشعور مظهران للنفس . ينتقل الاحساس بواسطة الاعصاب الموردة ، ويتحـول الى شعور . اذن هـو عملية نفسية . والشعور ينبثق من مصدرين ، داخلي وخارجي ، مـادي ومعنوي . اذن هو عملية نفسية . وكل المظاهر الاخرى التي تتفرع عن هذين المظهرين الرئيسيين تعتبر عمليات نفسية .

فالغضب والحقد وردود الفعل السريعة غير الواعية ، والمحبة والتواضع ، والى ما هنالك من مظاهر سلبية أو ايجابيـة ، كلها تقع ضمن دائرة النفس • وبامكاننا أن نضعهـا جميعا تحت موضوع الاحساس والشعور • وتعتبر حالات سلبية وايجابية وفق ما يعمل العقل، أو وفق موقف الانسان الفكري منها وسلوكه اتجاهها •

ونستنتج ان النفس تعمل في كل أنحـاء الجسد لان الاعصاب موجودة في كل انحائه • وتعمل هذه النفس ككل ولذلك لانستطيع ان ندل على مراكز الفرح أو الالـم في أجسادنا ، كما لا نستطيع أن نبرهن على وجـود الالم في مكان آخر ، والا لاستطعنا ان نحـدده في مكان معـين • والاعصاب هذه التي تنقل اخبار الالم والفرح منتشـرة في جميع أنحاء الجسد ، وتشترك في عنصري الروح والجسد • فهي نفسية اذن ، وتنقل كل احساس او شعور الى الدمـاغ ولا شك انها تمر في كل انحاء الجسد، ولذلك يشعر الانسان بالالم ككل وبالفرح ككل ، وبالنشوة ككل • ويعتبر هذا الشعور نفسيا لانه عملية الاعصاب التي تركزت فيها النفس، والتي هي صلة الوصل بين الروح والجسد ، وبقدر ما هي مندمجة بالجسد كذلك هي مندمجة بالروح ، ولكنها قابلة للامتداد في الروح أكثر لانها صفة أعطيت منها للجسد •

. . . . . .

نستنتج أيضا ان النفس الموجودة في الاعصاب ، لا تظهر

للعيان ولا تخضع للفحص والتدقيق • واننا نورد على ذلك مثالين :أولها في حالة الموت تبقى الاعصاب المادية لكنها تفقد قوة الحس والشعور • أين ذهب هـذا الحس والشعـور ؟ ثانيا : في حالة النوم وعندما تنادي شخصا بصوت معقـول فيبدو انه لايسمع مع ان آلية اذنه تعمل تماما كما انها لـو كانت في حالة اليقظة • أين ذهبت حاسة الاذن ؟

ان الجواب على هذين المثلين دقيق وصعب • ولكنـه يفسر كعملية نفسية بحتة • في الحالة الاولى فقدت الحركة من الجسد أي فقدت الحياة لذلك تعطلت آلية الجسد • لذلك نقول بأن الاحساس هو الشعور في حالته البدائية وهو يمتد حتى يصل الى اعماق الكيان الانساني أي الى الروح بواسطة النفس • وطالما ان الروح قد فقدت ، فقد فقد الاحساس والشعور أيضا • اذن النفس التي فقدت بعودة الروح الى حيث كانت ، لم تستمر بوجود الجسد لانها صفة روحيـة أعطيت للجسد لكي تستمر الحياة فيه • فالنفس اذن تأتي من « فوق » كما انها تعيش مع « تحت » وفيه أيضا •

وفي الحالة الثانية تقـل عمليات الاحساس في النوم[1] بينما تكثر أعمال النفس أي الشعور • وفي هذه الحالة تمتد

---

١ ــ النوم هو تعويد الانسان على المـوت . فهو شبيه به مع فارق واحد وهو ان الانسان يبقى على اتصال بالحيـاة الارضية .

النفس وتنطلق ولكنها تبقى على اتصال بالعقل[1] . والنوم هو استرسال وغيبوبة وذلك لانه يستحيل الانسان أن يغفو اذا ظل يفكر في امور المعيشة . ولايستطيع أن يغفو الا عندما يسهو عن كل موضوع خارجي . فيسترسل في عالم الغيب. ولذلك ينقطع الانسان قليلا أو كثيرا عـن حالته الجسدية وتقل امكانيات الحس . وهكذا لاتخضع عمليـات الحس للتأثرات الخارجية بشكل مباشر . وهكذا يكون الانسان في حالة نفسية ، أرق وأعمق من حالته الدماغية .

نستنتج أيضا ان النفس ، مع انها موجودة في الاعصاب، موجودة أيضا في المراكز الحساسة في الجسد . فهي موجودة بالغدد والنخاع الشوكي والبصلةالسيسائية[2] وتعتبر هذه المراكز أماكن مهمة وحساسة جداء ويتعرض الانسان لامراض كثيرة نفسية خاصة ، في حال تعرضها لمؤثرات ومضاعفـات خارجية حادة .

ونحن نعلم أهمية الغدد في حياة الانسان ، كما نعـلم أهمية النخاع الشوكي . ونعلم كيف يتأثر الانسان اذا اعترى الوهن والانحلال احدى هذه المراكز الحساسة .

. . . . . .

---

١ ـ يمكن أن يكون النوم انعكاسا لليقظة إذا كان الانسان ماديا ومتعلقا بمادته .

٢ ـ ولا يستبعد أن تكون النفس في الدم أيضا .

تتركز النفس في الاعصاب وفي الاماكن المهمة والعظيمة في الانسان كالغدد والنخاع الشوكي والبصلة السيسائية . ولذلك تقوم بعمل مهم جدا لتأدية الحياة . فهـي حـاملة الحياة في الجسد .

الفصل الثامن

الروح

- ١ -

رأينا ان الانسان قد تشكل من عناصر الكون ، فهو يمثله ويحتويه فيجسده • ورأينا أنالكون ، مع انه مادي ، أزلي لانه يمثل الديمومة والازلية • ورأينا أن الفكرة الازليه هي التي أوجدت الكون لذلك فان الكون أزلي • وهكذا يسير الكون في أزليته مع أزلية الفكرة التي أعطته صفاتها• فالكون أزلي لان فكرة الازلية موجودة فيه ، وهو مضمون فيها •

والكون مادي وقد شكله الله من العناصر • وقدتمثلت هذه العناصر في الانسان • وبما ان الكون مشكل من العناصر فانه لايحتوي على عظمة الفكرة الا في الانسان الذي تجمعت فيه كل العناصر واصبح وحدة لايتجزأ ، لكنه يحتوي الحياة ويحملها • ورأينا أقسام الحياة الاربعة •

ان أعظم مظهر للحياة تجسد في الانسان الذي وجدت فيه العناصر المادية كلها ، لذلك أصبح الانسان يمثل فكرة الكون ، أي المطلق ، ووجوده أي المادة • ولا يمكن أن توجد الفكرة الازلية في الانسان لو لم يكن حاملا لكل

عناصر الكون المادية . اذن حلت الروح في الكـون كله المتضمن في الانسان .

. . . .

لقد رأينا ان حياة المادة هي حركتها . ونحن لاندرس المادة بل ندرس حركتها ، أي المادة المتحركة ، أي المـادة الحية ، أي المادة التي حلت فيها الحياة . وقد اختلفت الحياة في المادة . فهي تختلف في الجماد عنها في النبات وفي الحيوان عنها في الانسان . وسبب الاختلاف هو الاختلاف في الحركة. فما هي هذه الحركة ؟

. . . .

تختلف العناصر عن بعضها البعض بحركتها ، وتقـاس نسبة حياتها بنسبة حركتها . والفرق بين المعادن كبير ويعود الى الفرق في حركتها . وما هـو الاختلاف بـين الخشب والحديد ؟ ان ذرات الحديد أكثر تماسكا أي أقل حركة، وذرات الخشب أقل تماسكا أي أكثر حركة . ولذلك كـان الحديد أقسى من الخشب وأقوى منه . اذن تتوقف كـل حياة على الحركة في الشيء. فاذا كانت الذرات أكثر تماسكا كانت أقل حركة واذا كانت أكثر حركة كانت أقل تماسكا. وهذا هو المبدأ الاول .

يرينا هذا المبدأ الاول الاختلاف القائم بين العناصر وبين

أشكال الوجود . ولاشك ان الحياة في المادة تسمو وترقى في سلم الكائنات حتى تصل الى درجة عليا ، تتمثل في الانسان. ان الحياة في الصخور اولية وبدائية تقاس بالنسبة للحركة القائمة في المادة . وكلما سمونا الى عالم النبات كلما وجدنا حياة أسمى .

. . . . . .

رأينا ان الحركة في المادة هي التي تعين مقدار حياتها وعظمتها . فالمادة حية بحركتها . وحركتها هذه هي الحياة التي وضعها الله فيها . ورأينا ان العناصر تختلف عن بعضها بمقدار حركتها . وكلما كانت الحركة كبيرة أي كلما كانت ذبذبة الذرات كبيرة كلما كانت قادرة على اعطاء قدرة أكبر. فالقدرة تقاس بمقدار الحركة الدائبة أي بمقدار ذبذبة الذرات في المادة . ولنأخذ مثالين .

أولا : أمامنا وعاء من الماء . الماء ساكن أي في حالة معينة مستقرة . لنفترض اننا ادخلنا عاملا جديدا على هذه الحالة المستقرة ، هو عامل البرودة . نجد أن الماء يبرد فيتبدل . وكلما زادت برودة الماء كلما أصبحت ذراته أكثر تماسكا وأقل حركة ، حتى يصبح ثلجا . ولنفترض أننا أدخلنا عاملا جديداً على الحالة الاولى للماء ، أي حالة الاستقرار . وليكن هذا العامل هو الحرارة . نجد ان الماء يسخن فيتبدل ايضا . وكلما زادت الحرارة كلما أصبحت ذرات الماء أقل تماسكا وأكثر حركة حتى تصل الى درجة تتطاير فيها هذه الذرات ولا تعدو ترى أي تصبح غير

مرئية . وهذا يعني ان حركة الذرات اصبحت كبيرة جدا لدرجة ما عدنا نراها . واما الكيفية التي تمت فيها هي ان الذرات تحركت بسرعة كبيرة حتى وصلت الى درجة تبخرت واختفت عن نظرنا .

ثانيا : يوجد فرق كبير بين معدن ومعدن . فالحديد يختلف عن اليورانيوم . وما هو هذا الاختلاف ؟ ان مادة اليورانيوم مشعة وذلك لان ذراتها تحمل الاشعاع أي تحمل درجة كبرى من الحركة . فهي تتلاطم وتستمر في التلاطم المتزايد فتعطي قدرتها أو طاقتها . اما مادة الحديد فليست مشعة وذلك لان ذراتها لاتحمل درجة كبرى من الحركة ، وهي قليلة التلاطم ولذلك لاتعطي قدرة أو طاقة كبرى . وكما نعلم ان مادة اليورانيوم أو الراديوم اذا فقدت قسما من حركتها فانها تتحول الى معدن آخر ، أي اذا نفذ قسم من اشعاعها ، وهو ناتج عن حركة ذراتها ، فانها تتحول الى معدن آخر . وهكذا نرى ان حركة الذرات تعني القدرة أو الطاقة وهذا هو المبدأ الثاني[1] .

. . . .

نستنتج ان الحركة هي التي تعني الحياة في المادة ، وان هذه الحياة تدرك أو تعين بمقدار حركة الذرات . ونستطيع

---

١ ــ نقدم هذه الامثلة لكي نوضح الموضوح مع انه يوجد فرق بين عالم المادة والروح . ولكن الامثلة عن المادة تعطينا فكرة تقريبية عن علم الروح أو الحياة .

الآن أن تتطور في الموضوع بشكل أوضح • لاتتم الحركة الا في مجال ،وهذا المجال يتيح الحركة • وقد اصطلحنا أن نسمي هذا المجال بالفراغ • ولولا هذا الفراغ لما وجدت حركة ، اذن هي تحيا في الفراغ • ولولا هذا الفراغ لما وجدت حركة • وكلما زاد الفراغ كلما زادت الحركة وكلما سهلت ، أي كلما زاد الامتداد •

تسبح الذرات في الفراغ وهذا تماما ما يحدث للذرة عندما تدور في أفلاكها الالكترونات ، تماما كما تدورالارض في الفراغ ، وكما تدور الكواكب أيضا • واذا انعدم هذا الفراغ ، فان الحياة أي حركة الذرة تنعدممعها أيضا • وهذا هو المبدأ الثالث الذي نعتمد عليه لتوضح أهمية حركة المادة في الفراغ •

• • • • • • • •

ينطبق هذا القول على كل مادة في العالم وتحيا هذه المادة وفقا لمقدار حركتها • فالكون في حركة دائمة ، اذن هو في صيرورة دائمة • ولا يستطيع الانسان ان يعيش هذه الصيرورة الا اذا كان قادرا ان يفهمها في نفسه أيفي كيانه • وبما ان الانسان يحتوي على كل عناصر العالم ، فان كل ذرات هذه العناصر تتفاعل مع بعضها في جسده • ولذلك يستطيع ان يراقب ويدرس ويشعر بالوجود فيه لانه مضمون فيه •

وهذا هو السبب الذي يدعونا ان نقول بأن الروح لم تتجسد الا في مجموعة الكون التي تشكلت في الانسان • وبما ان الانسان يحتوي على كل عناصر الكون ، لذلك يجب أن توجد فيه أعظم حركة ، وأعظم اشعاع وأعظم طاقة، وأعظم قدرة، وهذا ما نسميه بفكرة الكون أي الروح • فهو اذن يمثل المادة كلها كما انه يمثل فكرة المادة أي الارادة الالهية التي تمثلت فيه عن طريق التجسد •

فالانسان مادي بقدر ما هو روحي • وهذا مايجعلنا ان نقول انه مرتبط بالمادة لانه مادة لكنه يمتد في اللامحدود حتى يصل الى الله بواسطة الحركة الكبيرة أو الحياة العليا التي وضعت فيه • فهو اذن متصل بالله بواسطة الامتداد الذي يساعدنا على التذهن •

• • • • • • • •

ان الروح عنصر[1] ذات حركة كبيرة جدا لاتستطيع العين أن تراها كما لا يستطيع الحس ان يحس بها ، بل ان الانسان يشعر بها فقط •

ولذلك لايستطيع الانسان أن يراها لانها ذات حركة عالية جدا لايمكن قياسها أو التقليل من حركتها • واذا قلت حركتها

---

١ ــ نحن لانستطيع أن نحدد العناصر الروحية بشكل واضح •

فانها تصبح مادة . فالانسان لايستطيع أن يرى الروح الا اذا خففت من حدة حركتها . وعندئذ يستطيع أن يراها لانها أصبحت ، بعد تخفيف حركتها ، قريبة من المــادة . وليس هذا بغريب طالما ان كثيرا من الذرات المادية لاترى بالعين المجردة . وطالما ان ادق تفاصيل الحياة لاتزال مجهولة ، مع انها فينا أو حولنا، ونشعر بها وتتذهنها ولكن ليس بالامكان رؤياها .

. . . .

تتمثل الروح بالفراغ الذي لايرى ، لكنه موجود . وهو، وان كان لايرى ، لكنه مؤلف من العناصر الروحية . وكل ما يستطيع العلم القول هو ان الحياة توجد في هذا الفراغ . فالذرات والخلايا وكل أنواع الحياة الاخرى ترى وهــي تسبح فيه .

ونستطيع أن نتصور الروح بالذرات لانها مؤلفة مــن العناصر التي لاتستطيع العين البشرية رؤياها الا بالشــرط الذي ذكرناه أعلاه. ولذلك تبقى مسألة فهم الروح صعبة على الانسان لانه لايستطيع أن يعتمد على الاحساس في ادراكها . وما يزيد صعوبة هذا الفهم هو ان الروح موجودة فيه . وفي نفس الوقت ، لايدركها وانما يشعر بها . ان صعوبة فهم الروح لاتقل عن صعوبة فهم النفس . ويتقبل الانسان حياته تلقائيا مع ان قواه وطاقاته كلها تعمل فيه دون ان يدري ، لكنه يشعر فيها من خلال وجوده .

— ٢ —

تتمثل الروح بالاشعاع لان عنصرها مؤلف من ذرات ذات سرعة فائقة . وهذا هو المبدأ الرابع .

ونستطيع أن نتصور ، على سبيل المثال ، الاشعاع الذي يصدر عن المواد المشعة . ويمكن قياس هذا الاشعاع لانه مادي . بينما لايمكن قياس حركة ذرات الروح وسرعتها ، التي يعبر عنها بالاشعاع ، وذلك لان القياسات التي لدينا هي مادية ، غير روحية .

وبما ان حركة ذرات عنصر الروح سريعة جدا ، وتفوق قدرتها قدرة التصور ، فانها موجودة في كل مكان . وعندها يفكر الانسان فانه يستطيع أن يرسل فكرة في كل الاتجاهات . ومن حيث وجوده ، يعتبر في حالة تفكير . أما من حيث روحانيته ، يعتبر موجودا في كل مكان ، بالرغم انه موجود في مكان واحد .

نستنتج ان قدرة الروح هي الارسال . وهذا هو المبدأ الخامس .

وقد تمثل هذا الارسال بالطاقة أو القوة التي منحتها الروح للجسد والتي عرفت بالنفس ، وتمثل أيضا بامتداد الفكر ، مهما كان مصدره ، الذي يمتد حتى يصل الى

درجات عميقة ورقيقة جدا من السمو والتصعيد والمعرفة ٠٢
وهكذا نصل الى تصور الروح بانها اشعاع قوي جـدا ، ويظهر هذا الاشعاع بقوة الارسال ، كما يعرف بسرعتـه الفائقة حتى انه يوجد في كل مكان[1] ٠

ان قدرة الارسال عظيمة جدا ولا تتوقف على امكانيات الانسان المادية، وذلك لانالانسان يستطيع أن يطورها وان ينميها حتى تصبح في درجة عليا من الروحانية ٠ وكلما كان الانسان قادرا على الاتصال بالله والغوص الى أعماق المادة والوجود ، كلما كان قادرا ان يسبر عمق الوجود وكلمـا نمت طاقاته الروحية ، فتزداد معرفته ، وتكثر فضيلته لانه أصبح يعيش في عالم النور ٠

ان تشبيه الروح بالاشعاع يقربنا من تفهم مسألة النور. اننا نصف الروح بالنور لانها اشعاع عظيم جدا ٠ وهـذا هو المبدأ السادس ٠ ولذلك نعطي صفة النور للقديسين كما اننا نحيطهم بهالة منه ٠ كما اننا نتحدث عن الله بأنه نـور ٠ وهذا مايدل على الاشعاع ٠ وتظهر القوى الروحية عـلى وجه الانسان في كثير من المناسبات ٠ وكثيرا ما يبدوالابتهاج على الوجه يرافقه شيء من الضياء ٠ ولا شك ان هـذه مظاهر روحية ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

---

١ ـ تختلف القدرة عند الانسان لانه لايساعدها انتنطلق في كيانها . ولهذا لايستطيع ان يتذهن هـذه الامور الا اذا مارسها بالتامل . .

تعتبر قوة الارسال من أهم القوى الكائنة في الانسان ، فهو يستطيع أن يرسل فكره الى آماد بعيدة جدا . ولاشك ان وجود الروح في الجسد يحد من قدرة الارسال هذه ، لان الروح، كونها زمانا أو فراغا ولا محدودا ، هي محدودة في مكان وزمان . ولذلك تقف المادة حائلا دون تطوير هده القوى العظيمة لانها مكان . ولكن اذا استطاع الانسان أن يدرب جسده على تقبل المفاهيم الروحية فانه يحيا في عالم السكينة والفضيلة والنرفانا .

ان الفكر ، ولو صدر عن حس وشعور ، يمتد في عالم لا محدود مع انه محدود بذاته. وهذاالامتداد في اللامحدود هو اتصال المادة بالروح بواسطة النفس.ويستطيع الانسان أن يفكر ، وكثيرا ما يقف عند حد معين لعجزه وعدم قدرته . وكثيرا ما يستأنف تفكره فيمجال المعرفة بعد ان تأتيه عن طريق الاشراق. فالفكر ، مع انه محدود ، قادر ، بواسطة الامتداد ان يطرق باب المعرفة بالاتصال بعالم الروح . ولذلك يستطيع الانسان أن يرسل روحه .

. . . . . .

ان الروح ، الموجودة في الجسد ، تعطيه من صفاتها ولا محدوديتها ، ولكن الجسد محدود لانه مادة . ولكنها لاتعطي كل شيء وكل معرفة وكل فضيلة له ، بل على العقل أن يطرق باب المعرفة لكي يحصل على النتائج . والروحهذه تبدو للانسان بمظاهر عدة ، وتجعله أن يشعر بوجودها .

ولكن الانسان ، لايستجيب لهذا النداء بل يتغاضى عنه • ولذلك لايستطيع أن يفهم قواه الروحية • وهل فهم الانسان قواه المادية حتى يقدر ان يفهم قواه الروحية ؟

وبالرغم عن كل هذا ، تبقى الروح باتصال مع الجسد بواسطة النفس • وكثيرا ما تنقذه من صعوبات كثيرة • واذا استطاع الانسان أن يتعمق ، ولو قليلا ، وينظر الى ما يقع وراء الوجود المادي ، لنفذ ببصيرته الى حياة جديدة مليئة بالمعرفة والفضيلة • ولا يتم هذا الا بالتأمل الدائم والممارسة المستمرة والتفتيش الدائب عن كل ما يعتقده سرا في هذا الوجود •

• • • • • •

وبما ان الانسان يقف حائرا أمام ظواهر نفسيه وروحية، اد لا يستطيع فهمها وادراكها • فانه يرميها في ظلام العقل الباطن • لاوجود للعقل الباطن ، لان للانسان عقلا واحدا فقط • اما عجزه عن تفهم الامور التي تتكدس فيه دون وعي لها ، يزيده اضطرابا وقلقا ، فيلجأ الى العقل الباطن عندئذ • ان هذا العقل الباطن هو عملية الجهل واللاوعي • فلو فهم الانسان عملية تحول الحس الى شعور، وكون الحس شعورا، وعملية التذهن ، وكون العقل فكر الدماغ ، وكونه محدودا في المادة وغير محدود بالامتداد ، وكون النفس صلة الوصل بين العنصرين ، لاستطاع عندئذ أن يدرك أن العقل الباطن

هو من صنع الخيال ، ولفكر ان فهمه للمواضيع يقضي على خرافته .

لا ننكر ان باطن الانسان مهم جدا ، لانه نفسه . وبما ان الانسان يجهل الكثير من هذه النفس لذلك نسميها بالعقل الباطن . لقد حاول ان يتفهم أمور المادة وان يفسر كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة على أساس مادي بحت ، فأخفق . وقد أجبره هذا الاخفاق ان يتصور عقلا باطنا يتكدس فيه اللاشعور .

ان اللاشعور عند الانسان هو شعور عندما يتفهمه ويدركه . ولا يوجد اللاشعور لانه شعور ، لكنه شعور يجهله الانسان ولا يستطيع ادراكه أو تذهنه . ولو فهم ان هذا الشعور ، أي النفس ، هو وليد اتصال أو تجسد الروح بالمادة ، لأدرك حماقته عندما نادى باللاشعور . ويصعب على الانسان أن يتصور هذه الامور ، كما يصعب عليه تذهن كيفية اندماج الحس بالشعور ، وامتداد الواحد بالآخر . لذلك يبعد عنه هذه الحقيقة ويتعلق بدراسة السلوك .

. . . . . .

ان الروح ، مع انها موجودة في الجسد ، فانها تدرس المادة . ومع انها تدرس المادة فانها على اتصال دائم مع المطلق ، لانها في كيانها ، هي مطلق . وهكذا يكون الانسان

عالما داخليا كما يكون عالما خارجيا . وتتصل الروح بالعـالم الداخلي بواسطة النفس ، وتتصل بالعالم الخارجي بواسطة الاشراق والاتصال أي الانطلاق في عالمها . ويتم هذا الاشراق في حالات التأمل الدقيق ، وفي حـالة الغيبوبة ، وفي حـالة النوم . كما يمكن أن يتم أيضا بواسطة الصـلاة والارادة الدائمة أي الايمان ، للاتصال بالله .

وبما ان الروح لاتظهر تماما للمادة ، مع انها موجـودة فيها ، لذلك جعلت من النفس وسيطا لكي تنقل اليها حقيقة وجودها . تكسب هذه الروح صفاتها للمادة عندما يكون العقل في حالة اشراق . وكلما زاد الانسان تفهما لمادته كلما زاد تفهما لروحه لانه اذا فهم مادته جيدا يشعر ان هنـاك ما يقع الى ماوراء مادته أو بالاحرى فيها . ان الانسان يشعر فقط . ولذلك كان الشعور ، الذي يعبر عنه بالتذهن ، هو الصلة ــ التي سميناها النفس ــ بين الروح والمادة .

. . . . . .

لايمكن أن تصل المادة الى فهم ذاتها الا بواسطة الروح لأن حياة المادة متصلة بروحها . ولا يمكن أن توجد المـادة الا في وجود الروح ، فهي مضمونة فيها . وما كان مضمونا في الشيء يكون منه ويوجد فيه . وبما ان المادة موجودة في الروح ، وبما انها لاتحيا الا فيها ولا تكون الا بها ، لذلك فهي تمتد فيها أو اليها . ولذلك نستطيع أن تتصور المكـان

في الزمان • أي المادة في الروح ، ولانستطيع أن تتصور الزمان في المكان ، أي الروح في المادة ، وذلك لاننا حاصلون على الاول وادراكنا انطلق عنه ، بينما لانعتبر حاصلين على الثاني ولا ندرك بشكل مجرد •

وهكذا تكون دراسة الروح صعبة جدا لانها تصوردائم واشراق دائم في عالم لا محدود • ويقصر العقل عن هـدا التصور ، لكنه يستطيع أن يشعر بواسطة النفس ؛ وانيتأمل بواسطتها ، وان يؤمن بهذه القدرة اللانهائية • وعندئـذ يبدأ في المعرفة الحقيقية • لذلك وهبت الروح صفاتها للمادة لكي تستطيع ان تصل اليها ولكي تهبها شيئامن لامحدوديتها • وأصبحت المادة ، بعد تجسد الروح فيها ، توصف بالمحدودية واللامحدودية ، وبكونها مكانا يتمثل في الزمان •



الفصل التاسع

وحدة العقل والنفس والروح

نحن نتكلم عن الانسان ، الانسان الواحد الذي يتصف بجوهر واحد بالرغم انه مؤلف من روح ومادة . وعندما نتحدث عن الانسان لا نذكر انه مقسم بل نتحدث عن قدرته وطاقته . ان طاقته هي التفكير ، فهو اذن وليد التفاعل بين عنصرين الروح والمادة . ولكي نقترب من تصور هذه الحقيقة يجدر بنا ان نقدم مثالا تقريبيا عنها .

نحن نرى في الليل بواسطة الكهرباء . وتأتي هذه الكهرباء من المولد . ويتصل السلك بالمولد ، كما يتصل بالقنديل . ان المولد هو الذي يعطي الكهرباء ، والقنديل هو الذي يظهرها ، أما السلك فهو الذي ينقلها . وهذا السلك يجب أن يكون قادرا على حمل أو نقل الكهرباء ، لذلك يجب أن يتصف بصفاتها لانه قادر على نقلها . فالسلك ، مع انه من مادة معينة اتصف بصفة حمل أو نقل الكهرباء . والقنديل هو الذي يظهرها . وعندما نبحث في الكهرباء . نبحث فيها بشكل مجرد ، نبحث عنها كوحدة أو كجوهر وكيان ، ولو اننا نذكر قيمة المولد والسلك والقنديل .

لنفترض على سبيل المثال فقط ، اننا شبهنا الفكر بالانارة أو الكهرباء والنفس بالسلك والروح بالمولد . وزيادة في

التشبيه تقول ان الكهرباء هي نتيجة تفاعل يتم بين هــذه المواضيع الثلاثة وان التفكير هو نتيجة تفاعل هذه المواضع الثلاثة أي الروح والنفس والجسد • فالكهرباء اثارة والتفكير اضاءة • وعندما تتذهن الكهرباء فاننا تتذهن موضوعا قابلا للتجريد ، كما تتذهن الفكر كموضوع قابل للتجريد •

ان السلك ، وهو الذي يقــوم بدور الناقل أو الوسيط أو الحامل للكهرباء ، له أهمية عظيمة جدا • وتتصور هذا السلك قبل وبعد مرور الكهرباء به • لقد كان سلكا بادىء الامر ، وظل سلكا ، لكنه أصبح ينقل طاقة أو قدرة • وكم يصعب أن تتذهن مرور الكهرباء في السلك ، مع اننا تتذهنه بالرغم عن كل الصعوبات لاننا نرى نتائجها • اما القنديــل فانه المكان الذي تتجمع فيه الكهرباء ، فتنير • انه كالدماغ تماما ، المكان الذي تتجمع فيه كل طاقة أو قدرة الانسان • واما السلك فهو كالنفس التي تمرفيها الحياة فتنقلها وتحملها، وتغذي كل الجسد • وهذه العمليات كلها تبدو على شكل تفكير عند الانسان •

• • • • • •

نحن لانستطيع أن نميز ، في حالة التفكير ، بين الروح والنفس والجسد ، وذلك لانها تعمل كوحــدة أو ككيان، وجوهر• ولذلك لايقبل التفكير القسمة، فهو واحد ، ويعبر عن كيان واحد، هو الانسان• والتفكير هذا ، وهو مجموعة

كل العوامل والتفاعلات في الانسان ، يبدو بمظاهر مختلفة • فهو الشعور والاحساس والتأمل والادراك والتذكر والتنبؤ والاحلام والتركيز ، وكلها تتجمع وتتوحد حتى تكون التفكير • كل حالة من هذه الحالات درجة تفكير أو نوع تفكير • وكل واحدة منها تفاعل بين عنصري الروح والمادة بشكل معين • ولو تشابهت الحالات كلها لما اطلقنا عليها صفات وتعابير كاحساس أو شعور أو ادراك ••

نعود لحظة اخرى الى حالة الكهرباء ونعطي مثالا تقريبيا آخر • لدينا المولد والسلك والقنديل • وما يهمنا في مثلنا الآن هو القنديل • نحن نستطيع أن نضع في نهاية السلك قنديلا صغيرا بقدرة أو طاقة أو استطاعة معينة تابعة لكبره أو صغره • فان كان صغيرا فانه يحمل طاقة تتناسب وصغره من طاقة الكهرباء ، أي من المصدر • ولو اننا استبدلناه بقنديل أكبر ــ يحتل ذات المكان ويحصل على الانارة من ذات المصدر ــ فان الانارة تكون أكبر ، وذلك لان طاقة القنديل تكون أكبر لاظهار الكهرباء بشكل انارة أو اضاءة •

• • • • • • •

ونعود الآن للعقل • انه كما ذكرنا يأخذ معطياته من الكيان بشكل عام ، ان كانت من الداخل أو من الخارج • من فوق أو من تحت • ويستطيع هذا العقل ، وهو مصدر التفكير وملتقى التفاعلات أن يفكر أي أن يضيء • ان هذا

العقل يستطيع أن يكبر ويكبر أي أن يزداد ويزداد تفكيرا ، كلما زاد اتصاله بالروح أي كلما حصل منها على المزيد من المعرفة والفضيلة . ان هذا العقل يمكن أن يكون ذات معرفة كبيرة أو صغيرة ، فهو المسؤول عن زيادة المعرفة أو انقاصها أو ابقائها على ما هي عليه ، وبما انه يمتد ، فهو يتصل بالروح ، لذلك يستطيع أن يأخذ منها الكثير طالما انه يمتد. لذلك كانت المعرفة سبب وجود الانسان في الحياة .

. . . . . .

أمامنا مثال آخر يتعلق بموضوع الانارة والاضاءة .. كان الناس في الزمان القديم يستعملون قناديل تنار بالزيت. ويلاحظ ان الفراشات كانت تقترب من الضوء . وكانت تدور حوله أي حول بلورة القنديل . ان هذه الفراشات تفتش عن مصدر الضوء ، ولكنها لاتستطيع أن تحصل عليه ، بل تستطيع أن تراه وتشعر بوجوده. فهو هناك أمامها ، تستنير به، كما انها تحصل على الدفء من مجرد اقترابها منه . وتستمر الفراشة في البحث والتفتيش والتنقيب. ويأتي الصباح! واين نجد الفراشة ؟ نجدها قد وصلت الى الضوء .. فاحترقت فيه ... انها قد وجدت الضوء بعد تفتيش دقيق وتعب متواصل وجهد كبير.. وعندما وجدته احترقت فيه ... انها احترقت بالضوء الذي فتشت عنه كثيرا .. انها أرادت ان تعلم مصدره .. فعلمته .. لكنها احترقت فيه .

. . . . . .

والانسان ، من ناحية اخرى ، يفتش ويبحث ويتساءل ويحتار ••• ولكنه يثابر ولو انــه يشك بعض الاحيــان ويفكر وينفض عنه كل يقين• انه يستمر في البحث بشعوره••• ان هذا الانسان متصل بالله وبروحه ••• ولكنه لايدري • وأخيرا يموت الانسان ••• وعندئــذ يحترق كما احترقت الفراشة •• يحترق ويذوب ويندمج في الله • وعندما يعلم انه كان يشعر عما يفتش عنه عندئذ يدرك انه كان يرى الضوء أو النور ولكنه لم يكن قادرا ان يعرف المصدر •

• • • • • •

ان الانسان في دأب متواصل وجهد دائم للوصول الى الله • وهو قريب منه بقدر ما هو بعيد عنه • ويراه بقدر مالا يراه ، ويشعر به بقدر ما لايشعر به ، ويعيش بدفئه بقدر ما يبرد منه ، ويتذهنه بقدر ما ينكره • ويظل الانسان هكذا حتى يعرف أخيرا ••• ويتمنى عندئذ لو استطاع المعرفــة وهو حي •

• • • • • •

نستنتج ان الانسان قد وجد في الحياة ليعرف • وتتطلب هذه المعرفة دراسة دائمة وبحثا متواصلا • وبما ان الله يتصف بالمعرفة الكاملة والفضيلة الكاملة والخير الكامل ، لذلــك يحقق الانسان وجود الله فيه بالمعرفة والخير والفضيلة• وفي هذه العملية لانستطيع أن نجزىء الانسان لانه وحدة كاملة•

ويحق لنا ان نعجب من هذه الدقة التي تربط أو تصل الروح بالجسد • ما هذه الدقة ؟ ما هذه العظمة ؟ وكيف استطاع الله ان يوجدها ؟ كم هو حكيم ، عليم وعظيم •

ان التفكير اشعاع اذن هو ارسال • ولو لم يكن الاشعاع ارسالا لما استطعنا أن نتذهن المواضيع التي تبعد عنا بعدا شاسعا ، ولما استطاع عالم الفلك والرياضيات أن يعين مواضع الافلاك وابعادها دون أن يعتمد على القياس أو دون أن يمضي الى الاجواء •ولما استطاع أي مفكر أن يتصور المواضيع فيحل الغازها • وكلما ارتقى الانسان في سلم المعرفة كلما علم ان الالغاز والاسرار ليست الغازا أو اسرارا• وعندئذ يتذهن الله أكثر فأكثر لانه المعرفة الكاملة ولانه يدرك كل شيء • فالله كله وضوح وبساطة •

يستطيع الانسان أن يزيد من طاقته في حالة الاشراق والتأمل • ولذلك يحتاج الى صفاء الذهن الدائم ، الى السكينة الدائمة ، الى النقاء الفكري ، الى الخير المطلق ، والى الاتصال الدائم مع ما يقع الى ما وراء وجوده •

ـ انتهى ـ

صدر وسيصدر عن

دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

للمؤلف :

تأليف

١ النقد الفلسفي للماركسية
٢ رسائل في حضارة البؤس
٣ مقالة في العقل والنفس والروح
٤ الاشتراكية ومفهوم العدالة
٥ مقالات فلسفيـــة

ترجمة

١ بؤس الفلسفة : تاليف كارل ماركس
٢ الرد على دهرنيج : تاليف فريد ريك انجلز
٣ اشتراكية القرن العشرين تاليف : ريتا هندن



الثمن ليرتان